



# خَوَاطِرُ حَوْلَ كِتَابِ "كَلِيلَتَا وَدِمْنَتَا"

وَحُكْمُ إِجْرَاءِ الْحِكْمَةِ عَلَى أَسْنَتِ الْبَهِيمِ  
مِنَ الْحَيَوَانِ

بِقَلَمِ

وَأَثَلِ حَافِظِ خَلْفِ

كَأَرْ نُورِ الْعِلْمِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

حقوق الطبع محفوظة للجميع

# الفهرست

الموضوع	صفحة
المقدمة .....	٥
التعريف بكتاب "كليلة ودمنة" .....	٨
الخلاف في واضع "كليلة ودمنة" .....	١٣
ابن المقفع وبراءته من الزندقة .....	١٧
أثر "كليلة ودمنة" ومحاكاة الأدباء له .....	٢٩
الرافعي ومحاكاته "كليلة ودمنة" .....	٣٩
شبهة المعارض على "كليلة ودمنة" .....	٥٤
صفة المعارض .....	٥٦
الرد على المعارض .....	٦٢
فصل في سياق بعض ما جاء عن سلفنا من إجراء الحكم	

والأمثال على ألسنة البهيم من الحيوان..... ٧٥

خاتمة..... ١١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

---

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،  
وعلى آله وصحبه ومن تبعه .

أما بعد :

فمُذْ سُنَيَات شرعت في تحقيق كتاب "كليلة ودمنة" بعد  
أن عثرت له على مخطوطة نفيسة لا أخت لها فيما أعلم، وَلَمَّا  
يَنْتَهِ الْعَمَلُ فِيهَا بَعْدُ، فَعُونَكَ اللَّهُمَّ.

وفي أثناء عملي في الكتاب علمت أن بعض من أوتي أثارة  
من علمٍ وذُرْوًا من بيانٍ ترامي إلى مسامعه خبرٌ شروعي  
فيما أنا بصدد معالجته ومزاولته ، فجمع جراميزه وامتطى  
رأسه وأخذ في تَرَهَاتِ البَسَابِسِ ، فَأَبَشَّ كَلَامًا (١) ، وجمع  
أوهامًا يسقط بها من حالق لو كان يدري - ولا وفالق  
الإصباح ! ما وجدت منه هَلَّةً ولا بَلَّةً من علمٍ شديد - ثم  
عاد فعذلني وشدد النكير بأدلة ارتآها حججًا ؛ فضمنت  
مقدّمتي للتحقيق ردًا عليه مسهبًا . فاطلع عليها بعضُ  
الأفاضل فأشار عليّ أن أختصرها وأقدمها للنشر ؛ ليعم  
النفعُ إلى أن يأذن اللهُ بخروج الأصل ؛ فأطلبته ، فدُونَكهَا .  
وأنا موجز هنا أشد الإيجاز لظروف خارجة . وأنت  
واجد مع الرد المختصر الإلماعَ للتعريف بكتاب "كليلة

(١) أَبَشَّ كَلَامًا : جمعه أخلاطًا من هاهنا وهاهنا .

ودمنة" ، وبعضُ أشياء تتعلّقُ به . والله الموفق . عليه  
توكلت وإليه أنيب .

وخطه بيمينه

وائل بنُ حافظ بن خلف

غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهم وإليه  
كفر الدوار - البحيرة - جمهورية مصر العربية



## التعريف بكتاب "كَلِيلَة وَدِمْنَة"

كِتَابُ "كَلِيلَة وَدِمْنَة" وَضَعَ أَصْلَهُ الْفِيلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ  
بِيدَبَا لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ ، وَكَانَ يُسَمَّى بِالْفُصُولِ الْخَمْسَةِ .  
وقد استتم بيدبا عمل الكتاب بمعاونة تلميذ له في مدة  
سنة ، وضمنه خمسة عشر باباً (٢) ، كل باب منها قائم  
بنفسه ، وفي كل باب مسألة والجواب عنها (( وَجَعَلَهُ عَلَى  
أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ ؛ صَيَانَةً لِعَرَضِهِ فِيهِ مِنَ الْعَوَامِ ، وَضَنَّا  
بِمَا ضَمَّنَهُ عَنِ الطَّغَامِ ؛ وَتَنْزِيهاً لِلْحِكْمَةِ وَفَنُونِهَا ، وَمَحَاسِنِهَا

---

(٢) كذا النسخ المطبوعة ، والمخطوطة التي بين يدي ستة عشر باباً . جاء في  
مطلعها : (( هذه ستة عشر باباً ، تتصرف على ثلاثمائة وستين باباً من الحكمة ،  
في الملوك وإصلاح رعيتهم ، وفي صحبة السلاطين ونصيحتهم )) . وسيخرج  
تحقيقنا في ثلاث مجلدات إن شاء الله (تعالى) .

وعيونها ؛ إذ هي لِلْفَيْلَسُوفِ مَنُذُوحَةٌ ، وَلِخَاطِرِهِ مَفْتُوحَةٌ ،  
وَلِحُبِّيَّهَا تَثْقِيفٌ ، وَلِطَالِبِيهَا تَشْرِيفٌ<sup>(٢)</sup> .

وابتدأه بباب "الأسد والثور" ، واختتمه بباب "الحمامة  
والثعلب ومالك الحزين" .

وقد تَرَجَّمَهُ مِنَ الْهِنْدِيَّةِ إِلَى الْفَارِسِيَّةِ (الفهلوية) : بَرْزَوِيهِ  
ابْنُ أَزْهَرَ رَأْسُ أَطْبَاءِ فَارِسَ بِأَمْرِ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ بْنِ قُبَادَ  
بْنِ فَيْرُوزَ مَلِكِ الْفَرَسِ .

وَقَدَّمَ لَهُ : بَهْنُودُ بْنُ سَحَوَانَ - الشَّهِيرُ بِعَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ  
الْفَارِسِيِّ - مَقْدَمَةً أَبَانَ فِيهَا عَنِ الْبَاعِثِ لِيَدْبَا عَلَى تَصْنِيفِ  
الْكِتَابِ وَعَرْضِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، وَأَفْصَحَ عَنْ قِصَّةِ نَسْخِ

---

(٣) ما بين القوسين مقتبس من طلائع "كليلة ودمنة" . وما يأتي في مثل  
صورته فهذه سبيله .

الكتاب وترجمته من الهندية إلى الفارسية ، وما بُذل في سبيل ذلك .

ثم تَرْجَمَهُ مِنَ الْفَارْسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُقَفَّعِ .

وقد ذكر في فاتحته الوجوه التي ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يقفَ عليها ، والرموز التي رمزت فيه (( وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير مفصِّحٍ .. وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا ؛ فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ، ولا أي ثمرة يجتني منها ، ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب . وإنه وإن كان غايته منه استتمام قراءته إلى آخره دون تفهم ما يقرأ منه لم يعد عليه شيءٌ يرجع إليه نفعه )) .

وذكر أنه حقيق بالناظر في هذا الكتاب (( ألا تكون غايته  
التصفح لتزائيقه . بل يشرف على ما يتضمن من الأمثال ،  
حتى يأتي عليه إلى آخره . ويقف عند كل مثل وكلمة ،  
ويعمل فيها رويته )) .

وليتذكر أنه (( يجب عليه أن يديم النظر في الكتاب من  
غير ضجر ، ويلتمس جواهر معانيه . ولا يظن أن نتيجته  
الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبعٍ لثورٍ ؛ فينصرف  
بذلك عن الغرض المقصود )) .

وجدير بالقارئ (( أن يعلم أن الكتاب ينقسم إلى أربعة  
أغراض :

- أحدها : ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم  
غير الناطقة ؛ ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من  
الشبان ، فتستمال به قلوبهم ؛ لأنه الغرض بالنوادر  
من حيل الحيوانات .

- والثاني: إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ؛ ليكون أنسًا لقلوب الملوك، ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور .
- والثالث: أن يكون على هذه الصفة ؛ فيتخذها الملوك والسوقة؛ فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ؛ وليتتفع بذلك المصور والناسخ أبدًا.
- والغرض الرابع ، وهو الأقصى ، وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة )) .



## الخلاف في واضع "كليلة ودمنة"

اضطربت الأقوال في واضع "كليلة ودمنة" (٤) ؟  
والأصح ما ذكرناه آنفاً من أنه هندي الأصل ، وضعه  
الفيلسوف الهندي بيدبا لدبشليم ملك الهند . ثم ترجمه من  
الهنديّة إلى الفارسيّة: برزويه بن أزهَر رأس أطباء فارس  
بأمر كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز ملك الفرس . ثم  
ترجمه للعربية الأديب الكبير زين البلغاء البرعاء ورأس  
الكتاب وأولي الإنشاء عبد الله بن المقفع ، وزاد فيه وأبدع ،

---

(٤) ((ف قيل : عملته الهند ، وقيل : عملته ملوك ونحلته الهند ، وقيل :  
عملته الفرس ونحلته الهند ، وقال قوم : إن الذي عمله بُزرجمهر الحكيم ...))  
من "الفهرست" لابن النديم .

وجود في الصياغة وأحكم ، بأسلوبه البديع ، وقلمه  
الرشيق ، الذي قلما يُبارى ويُوازى وإن صرَّج المحاكي  
الكلام وزينه (٥) .. وكان عمله بمثابة من وجد تبرًا مبعثرًا  
قد علاه التراب ، فنفض ما علق به مما يعيب السبك  
وجعله في تباب ، واصطفى لباب اللُّباب ، ثم جمع إليه من  
قريحته ونتاج فكره نفائس بغير حساب ، ثم أعمل حنكته

---

(٥) وابن المقفع بلغ في إتقان اللسان العربي غاية سنيّة حتى قال الإمام الكبير  
عبد الملك بن قُريب الأصمعي ( / ) - وكفى بالأصمعي شاهدًا وموثقًا - :  
( (قرأت آداب ابن المقفع فلم أرَ لحناً إلا قوله : " العلم أكثر من أن يحاط  
بالكل منه ؛ فاحفظوا البعض !! ) ) ا.هـ . واللعن في كلام ابن المقفع من جهة  
إدخاله الألف واللام على " بعض " و " كل " ؛ إذ لم يُسمع هذا عن العرب  
القدماء ؛ ذلك بأنهما معرفتان في نية إضافة .. انظر - إن شئت غير مأمور -  
" المزهر " للحافظ السيوطي ( / ) ( ٤٠١ / ٢ ) .

في سبيكته وأخرج للناس ما شَدَّه الأبصار وأخذ بمجامع  
الألباب.

وما ذكرناه آنفاً - من أن الكتاب هنديُّ البدأة - هو ما  
رجحه غير واحد من أهل العلم ، منهم الإمام الكبير  
الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان  
ابن قايماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨ هـ) (أثابه الله، وبل  
بالرحمة ثراه وجعل الجنة مثقله ومثواه) في كتابيه "سير  
أعلام النبلاء" ، و"تاريخ الإسلام" .

والأدلة على ذلك كثيرة ، وقد ذكرت جملة صالحة منها في  
مقدمة تحقيقي للكتاب ، وأسوق إليك الآن اثنين منها :  
- أولهما : أن الإمام الكبير ابن قتيبة ( / ) ينقل منه  
في "عيون الأخبار" ويقول : (( قرأت في كتاب  
للهند ... )) .

- والثاني : قول أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ  
[المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين] في الرسالة  
الرابعة من "مجموع رسائله" (كتاب فخر السودان  
على البيضان) وهو يعدد فضائل الهند وهم من  
السودان: ((ولهم خط جامع لحروف اللغات،  
وخطوط أيضًا كثيرة، ولهم شعر كثير، وخطب...  
وعنهم أخذ كتاب "كليلة ودمنة". ولهم رأي  
ونجدة، وليس لأحد من أهل الصبر ما لهم)).



## ابن المقفع وبرائه من الزندقة

كان عبد الله بن المقفع مجوسياً من أهل فارس (٦)، وكان يسمى روزبه ابن داذويه (٧)، وأسلم على يد عيسى بن

---

(٥) وكان من الأذكياء الحصفاء، على النقيض مما يذكره بعضهم. ويكفي في ذلك ما جاء في كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للحافظ جلال الدين السيوطي ( / ) [ (٤٠١/٢) مكتبة دار التراث - الطبعة الثالثة ] : (( قال محمد بن سلام: سمعت مشايخنا يقولون: لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ( / ) ولا أجمع. ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع )) انتهى. فهذا يثبت ما ذكرناه في تصديرنا لكتاب "الأدب الصغير" (ص ٦) من أن الرجل (( ثَبِيْتُ عُرُوفٌ ، مُجَرَّدٌ مُجَرَّبٌ ، طَلَّعُ الثَّنَائِيَا )) .

(٧) ذكر ابن النديم في "الفهرست" أن ابن المقفع كان يُكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد.

علي عم السفاح والمنصور ، وأطلقوا على أبيه : المقفع -  
 بفتح الفاء - ؛ لأن الحجاج ابن يوسف الثقفي كان قد  
 استعمله على الخراج ، فخان ، فعاقبه حتى تقفعت يده .  
 وقيل : بل هو المقفع - بكسر الفاء - ؛ نُسب إلى بيع القفّاع  
 وهي من الجريد كالمقاطف بلا آذان .

وقد مات مقتولاً<sup>(٨)</sup> ، واختلفوا في سبب مقتله والطريقة

---

(٨) كان ابن المقفع كريمَ الجِشَى جدًّا ، وهو القائل كما في "الأدب الكبير" :  
 (( ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفقك ومحضرك ، وللعمامة بشرك  
 وتحيتك (وتحنّتك) ، ولعدوك عدلك ، واضنن بدينك وعرضك عن كل  
 أحد )) . وذكر الإمام ابن قتيبة ( / ) في "عيون الأخبار" أن ابن المقفع بلغه أن  
 جازًا له يبيع دارًا له لدين ركبته ، وكان يجلس في ظل داره ، فقال : (( ما قمت  
 إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدمًا وبِت واجدًا )) ، فحمل إليه ثمن الدارِ  
 وقال : (( لا تبع )) .

التي قُتل بها وفي سنة وفاته أيضًا، ومهما يكن من أمر فإننا لا نسلم أبدًا لمن قال: إنه قُتل على الزندقة! واستدل بما أورده العلامة ابن كثير ( / ) في "البداية والنهاية" [ج ١٠ ص ٧٨ ط / مكتبة الصفا] عن المهدي قال: ((ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد)) قالوا: ونسي الجاحظ، وهو رابعهم!!)) اهـ.

نقول: أما "فلان" وأمثاله من الحَوَاقِّ فعسى، وأما ابن المقفع فلا؛ فكَتَبَهُ بين أيدينا تكاد تنطق قائلة: ((وايم الله! إنَّ صاحبي لبريء مما نُسب إليه))! .

وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَتْ يَدُهُ من البرهان؟ إنَّ هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقدّمًا

اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قىض الله له من  
جهاذة المتأخرين مَنْ أثبت بالدليل الساطع والبرهان  
القاطع براءته . فتبصروا رحمكم الله )) (٩) .  
وأزيد هنا فأقول :

إن بلية عظمى وقع فيها كثير من المؤرخين، وهي: أنه قد  
يطير رجلٌ مقالةً ليس لها نجمٌ في رجلٍ آخر، لسبب ما،  
ولهُوى النفوسِ سريرةٌ لا تُعلم، فيتلقاها ثالث فيثبتها في  
كتاب دون أن يتبصر، ثم ينقلها عنه آخرون، ويزيدون  
فيها وينقصون، وهكذا حتى تصير كأنها واقع ما له من

---

(٩) انتهى من مقدمة تحقيقي لكتاب "الأدب الصغير" لابن المقفع [الحاشية  
رقم (١) (ص ٥-٦)] . وانظر ترجمة ابن المقفع ببسط أكثر (ص ١٤-١٧) من  
الكتاب عيّنه.

دافع وتستقرّ، والرجل منها برئ ؛ فتكون في حياته المضيئة كالسن الشاغية بين أخواتها (١٠) .

فإذا سأل سائل : ما مصدر تلقي الذي سمع المقالة الخلف أولاً ؟ أهو الحس ؟ أم أن الأمر كما قال الله : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥] .

---

(١٠) السن الشاغية : هي : الزائدة على الأسنان ، وهي التي تُخالف نِبْتَهَا نِبْتَةً غيرها من الأسنان . يقال : رَجُلٌ أَشْغَى ، وامرأة شَغَوَاءُ . كذا في " الصحاح " للجوهري ( / ) . وانظر " لسان العرب " ( شغا ) ( ١٤١ / ٥ - ١٤٢ ) ط / دار الحديث بالقاهرة .

فإذا بالقوم يردون ويشغبون : قد رماه بها فلان وفلان  
وفلان وفلان ..... ؟

والقوم غرقى في بحار هواهم وبكل ما يردي الغريق تعلقوا

فنقول : فلان وفلان وفلان وفلان حتى لو عددتهم ألفاً ،  
إنما أخذوا عن واحد ، فالأمر يرجع إليه ويدور عليه ،  
فلننظر في أمره ولنستقص أصل خبره ، فإن كان لم يسمع  
ولم ير ، ولم يك مصدر تلقيه للخبر الحسن ، فلا يثبت بقوله  
شيء ولا كرامة ، ويجب حينئذ أن يلقي قوله دبر الأذان ؛  
فلن يعدو أن يكون كذباً محضاً ، واختلاقاً صرفاً ، وزوراً  
بحثاً.

ولذلك اشترط علماء الحديث شرطاً من الأهمية بمكان في حدهم الخبر المتواتر ، إذ قالوا : (( إنه خبر جمع يمتنع عادة تواطئهم على الكذب عن محسوس )) (١) .

فقد يكون الرواة جمّاً غفيراً ، ويستحيل أن يتواطئوا على الكذب ، ولكن بفقد القيد الأخير (عن محسوس) يروج الكذب ويحسبه الناس أمراً ثابتاً ، وخبراً متواتراً .

وأنا ذاكر لك هاهنا مثلاً فتدبره لتعلم ضرورة أن يكون مصدر التلقي الحس .

ذكر الحافظ ابن عدي ( / ) (١٢) في ترجمة الإمام العلم المفرد أبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري ( / ) أن

---

(١١) نقله الكتاني ( / ) في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" (ص ١٢) ط / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(١٢) انظر "نهذيب التهذيب" للحافظ ابن حجر العسقلاني ( / ) (ج ٦ ص ٧٧) ترجمة رقم (٨٧٥٠) ط / دار إحياء التراث العربي .

مولاه يزيد بن عطاء كان قد فوض إليه التجارة ، فجاءه  
سائل ، فقال له : أعطني درهمين لأنفعك ، فأعطاه ، فدار  
السائل على رؤساء البصرة ، فقال : بكَرُوا على يزيد بن  
عطاء فقد أعتق أبا عوانة !! فاجتمع إليه الناس ، فأنف من  
أن ينكر حديثه ، وأعتقه حقيقة !

فأنت ترى أن الجمع الغفير قد رووا الخبر وصدقوه  
وأصله كذب ، فهل صار بهذا ثابتاً متواتراً ؟ كلا كلا .  
فينبغي للإنسان - لو تهدي - أن يتحرى قبل أن يتكلم ،  
ويروى الأمور قبل أن يسم ، لاسيما في أمر كالذي معنا ،  
وهو اتهام رجل في دينه ، فعلى مثل الشمس فاشهد أو دَعْ .  
والدعوى ما لم تقيموا عليها بيناتٍ أبناؤها أدعياءُ

ولا يهولنك أسماء الرجال ، وكما قال ابن خلدون  
( / ) : (( الناقد البصير قسطاس نفسه )) (١٣) .

وقال : (( الناقد البصير قسطاس نظره ، وميزان بحثه  
وملتمسه )) (١٤) .

واعلم أن الأفاضل قد تجري على ألسنتهم الفرية بدون  
قصد منهم ثقة في نقل من قبلهم بعد أن أغفلوا الحس ،  
وزادوا ونقصوا ، وأوغلوا في الإيهام ونسجوا . وأسوق  
مثالاً واحداً وأكتفي به لضيق المقام ، وهو يتعلق بقول  
إمام وَهْمَ فذكر حكاية مختلفة مصنوعة ، مفتعلة

(١٣) " مقدمة ابن خلدون " (ص ٨) ط / دار العقيدة بالإسكندرية ،

بتخريجي .

(١٤) السابق (ص ٢٧) .

موضوعه، تتعلق بأمر اتهام ابن المقفع بالزندقة، ثم أذكر عقيبتها بيان زيفها من كلام إمام تحرير ومحقق جليل .

أما الحكاية فقد ذكرها إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ( / ) في أواخر كتابه "الشامل في الأصول" . قال :

(( قد ذكرت طائفة من الثقات المعتنين بالبحث عن البواطن أن الحلاج والجبائي القرمطي وابن المقفع تواصلوا على قلب الدول ، وإفساد المملكة ، واستعطاف القلوب . وارتاد كل واحد منهم قطراً . فقطن الحلاج في الأحساء . وتوغل ابن المقفع في أطراف بلاد الترك . وقطن الحلاج ببغداد ؛ فحكم عليه صاحباها بالهلكة والقصور عن بلوغ الأمانة ؛ لبعد أهل بغداد عن الانخداع ، وتوقر فطنهم ، وصدق فراستهم )) انتهى .

وأنت إذا وقفت على هذا النص لا بد مثبت ما فيه بادي الرأي؛ فالجويني إمام كبير ، وثقة جليل ، وقد نقل عن الأثبات .

ولكنك إذا تأملت قليلاً علمت أن هذا النقل ليس فيه ذرّو من صواب ، وأنه لا يروج مثله على أهل التآني والبصر ، واسمع كلام محقق خريت .

قال العلامة أبو الفرج ابن الجوزي ( / ) [ المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ] في "صيد الخاطر" بعد أن أورد كلام الجويني الأنف الذكر :

((ولو أن هذا الرجل - يعني : أبا المعالي ( / ) - أو من حكى عنه عرف التاريخ ؛ لعلم أن الحلاج لم يدرك ابن المقفع ؛ فإن ابن المقفع أمر بقتله المنصور ، فقتل في سنة أربع وأربعين ومائة . وأبو سعيد الجبائي القرمطي ظهر في

سنة ست وثمانين ومائتين . والحلاج قُتِلَ سنة تسع  
 وثلاثمائة ؛ فزمان القرمطي والحلاج متقاربان ؛ فأما ابن  
 المقفع فـ(( انتهى . وصدق ربي إذ يقول : ﴿ وَفَوْقَ  
 كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .



## أثر "كليلة ودمنة" ومحاكاة الأدباء له

مما لا يخفى على أحد أن دفتر "كليلة ودمنة" من الشهرة في غاية المكانة، فلقد سارت به الركبان في أقطار البلدان، وحُق له؛ فهو نَسِيحٌ وَحْدِهِ، فريد في محرابه، فائق في بابِه... فلا غرو أن يكون متبوعاً مقلداً، يحاكيه الأدباء، وينظمه الشعراء، ويماتن بعضهم بعضاً فيه .

ولو أني تجولت في رياض مكتبي وتَلَبَّثْتُ هُنَيْهَةً ببستان كتاب كـ "كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون" لحاجي خليفة، وطَفِقت أطوف بدوحاته وأيكاته متعجلاً

كطواف المحرم في أشواط الرَّمَل من طواف القدوم ؛  
لظفرت بالثمار الآتية مما له تعلق بحديثنا عن أثر "كليلة  
ودمنة" :

١ - قال في (ج ٢/ص ١٨٧) : (( قد صنف في هذا الباب  
جماعة من أولي الألباب صحفًا وافية محتوية على حكايات  
غريبة وأخبار عجيبة، غير أن صاحب "كليلة" كان أول  
فاتح لهذا الباب ، وكل من صنف بعده من نوادر  
الحكايات مقتبس من ضياء أنواره )) .

٢ - (( حُكي عن كسرى أنوشروان أنه لما سمع كتاب  
"كليلة ودمنة" أرسل برزويه الحكيم إلى بلاد الهند  
لانتساخ "كليلة ودمنة" أعطاه خمسين جرابًا ، في كل  
جراب عشرة آلاف دينار ، ولما استخرج هذا الكتاب مع  
الشطرنج التام الذي هو عشرة في عشرة من بلاد الهند نقله  
من الهندية إلى الفارسية لكسرى أنوشروان ، ثم ترجمه في

الإسلام عبد الله بن المقفع الخطيب كاتب أبي جعفر المنصور العباسي من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية وتوفي سنة ١٤٢ ، ثم نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله ابن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي من الفارسية إلى العربية وذلك في سنة خمس وستين ومائة .

ونظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى المذكور وزير المهدي والرشيد ، فلما وقف عليه أجاز به بألف دينار . وكان الملك الناصر الأموي صاحب الأندلس بالمغرب حكيماً فسمع به فكاتبه وسير له هدايا وتحفاً غريبة بضروب من الخواص الروحانية وسير له كتاب "كليلة ودمنة" .

وقد صنف سهل بن هارون للمأمون كتاباً ترجمه بكتاب نظمه وعصره عارض فيه كتاب "كليلة ودمنة" في أبوابه

وأمثاله (١٥).

ثم أمر أبو الحسن نصر بن أحمد الساماني واحدًا من علماء عصره فنقله من العربية إلى الفارسية .

ونظمه شاعره رودكي حسن بالفارسية ، ثم أمر أبو المظفر بهرام شاه بن مسعود الغزنوي أبا المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد فنقله ثانيًا من نسخة ابن المقفع ، وهذه الترجمة هي المشهورة بكليلة ودمنة في هذا الزمان ، لكنه أطنب وأسهب بإيراد الألفاظ المغلقة .

(١٥) ذكر ابن النديم في "الفهرست" أن اسم الكتاب الذي وضعه سهل بن هارون على مثال "كليلة ودمنة" : "ثعلة وعفرا" . وأن له كتابًا آخر باسم "النمر والثعلب" . وقد ذكرنا لك في الأصل كل ما حواه كتاب ابن النديم من حديث عن "كليلة ودمنة" . والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهرًا وباطنًا .

ثم جدد هذه الترجمة ولخصها وهذبها المولى حسين بن على الواعظ الكاشفي للأمير سهيلي من أمراء سلطان بيقرا، وسماه "أنوار السهيلي".

ثم ترجم المولى علي بن صالح الرومي الملقب بعبد الواسع عيسى "أنوار السهيلي" من الفارسي إلى التركي بإنشاء لطيف سماه "همايون نامه" وتوفي سنة خمسين وتسعمائة.

وترجمه افتخار الدين محمد البكري القزويني باللغة التركية.

وملخص "همايون نامه" كثلثه للمولى يحيى أفندي. ولخصه أيضاً المولى عثمان زادة المتوفى سنة ١١٣٦ حال كونه قاضياً بمصر تلخيصاً لطيفاً)).

٣- وخط في (١٦٠/٢) أن أبا العلاء أحمد بن عبد الله المعري - المتوفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة - له "كتاب

القائف" على مثال "كليلة ودمنة"، وأنه في ستين كراسة ولم يتم .

قال : ((وله كتاب "منار القائف" يتضمن تفسيره في عشرة كراريس .

٤ - وأفاد في (٢٧٩/٢) أن أبا عبد الله محمد بن حسين اليميني النحوي المتوفى سنة أربعمئة له تصنيف وسمه بـ "مضاهاة أمثال كليلة ودمنة" .

٥ - وذكر في (٣٧٨/٢) أن للشريف نظام الدين محمد ابن محمد بن صالح بن حمزة المعروف بابن الهبارية البغدادي المتوفى سنة ٥٠٤ كتاباً سماه: "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة" .

٦ - وقد سَطَّرَ قبلُ في (١/٥٠٦-٥٠٧) أن لأبي يعلى محمد بن محمد المعروف بابن الهبارية الهاشمي العباسي البغدادي - المتوفى سنة تسع وخمسمئة - مصنفًا سماه

"الصادح والباغم" ، وهو منظومة على أسلوب "كليلة ودمنة" في ألفي بيت ، فيه قصائد وأراجيز ، وهو من غرائب مؤلفاته ، لبث في نظمه عشر سنين ، وختمه بهذه الأبيات :

تحرار فيه الفطن	هذا كتاب حسن
عشر سنين عده	قضيت فيه مده
وضعته برسمكا	منذ سمعت باسمكا
جميعها معان	بيوته ألفان
وناظم وناثر	لو ظل كل شاعر
في نظم بيت واحد	كعمر نوح التالد
فجاء كله غرر	من مثله لما قدر
بل مهجتي وكبدي	أنفذته وولدي
ومسبغ لكل من	وأنت عند كل ظن
توكلا عليك	وقد طوى إليك
وشقة بعيدة	مشقة شديده

ولوتركت جئت	سعيًا ولا ونيت
إن الفخار والعلا	أرئك من دون الملا
فاجزى صلته	وأحسن جائزته

نظمه للأمير سيف الدولة صدقة بن ديبس .

أوله : (( الحمد لله الذي حباني بالأصغرين : القلب  
واللسان ... )) إلخ .

ذكر أولاً باب "الناسك والفاتك" ومناظرتها ، ثم باب  
"البيان ومفاخرة الحيوان" ، ثم باب "الأدب" .

فإذا ما تحولنا من بستان "كشف الظنون" ، وأكملت  
تطوافي في رياض مكتبي للإحاطة بتأثير كليله ودمنه ؛  
لوقفت بك أيها القارئ الكريم من مكان بعيد ننظر رسائل  
"إخوان الصفا وخلان الوفا" ولا نقرب خشية الوقوع في  
حماته الوبيلة ، ففيه من الفواقر والبهالق والطامات

والبوائق الشيء الكثير<sup>(١٦)</sup>، فحسبنا قراءة علولنه  
 (والعلوان هو العنوان)، وحينها سنعلم أن من خطوه قد  
 اقتبسوا اسمه من "كليلة ودمنة"، فقد جاء هذا الاسم  
 منصوباً عليه بحروفه في باب "الحمامة المطوقة"، وهاك  
 سياقه :

(( قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثلك  
 المتحابين كيف قطعَ بينهما الكذوبُ وإلى ماذا صار عاقبةُ  
 أمرِهِ من بعد ذلك . فحدثني إن رأيتَ عن إخوان الصفاء  
 كيف يتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض )) .

---

(<sup>١٦</sup>) ترى الكلام فيه تحسبه رائقاً ، غير أنك إذا أمعنت الفكر فيه وجدته  
 مائقاً . وإذا تسمعت صوت حروفه ، وتشممت رائحة مداده ؛ باغتتك  
 الأفعى الباطنية الباطلية بفحيحها ، وأزكمتك بتتن رائحتها . فانتبه !!

ثم ضرب مثلاً لذلك الحماسة المطوقة والجُرْدُ والطبي  
والغراب ، ثم قال في خاتمة الباب : (( فهذا مثلاً إخوان  
الصفاء وائتلافهم في الصحبة )) . انتهى .

وإن كنتَ تصفحت قبلُ هذه الرسائل لقد علمت أن  
أصحابها قد تأثروا بـ "كليلة ودمنة" في بعض أشياء لا  
محالة .

ولنقنع بتلك الجنّة ، وأما بقية الثمر المخرُوف من ذا  
الطَّوف في استكشاف أثر الكتاب في الأدب العربي وغيره  
فقد حفظناه لك في الأصل ، فاطلبه ثمَّ .



## الرافعي<sup>(١٧)</sup> ومحاكاته "كليلة ودمنة"

والحق أقول : لا أعلم مُتَمَهِّراً حاكى أسلوب "كليلة ودمنة" ونسج على منواله وأتى بمثاله - مُذَّعِر به ابن المقفع إلى يوم الناس هذا - أفضل من الأديب الكبير

---

(<sup>١٧</sup>) ولد في قرية "بهتيم" محافظة "القليوبية" من محافظات "مصر" في أوائل المحرم سنة ١٢٩١ هـ = ١٨٨٠ م . وتوفي يوم الاثنين العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ م عن عمر يناهز ٥٧ عاماً . ودفن بعد صلاة الظهر في مقبرة عائلته بـ "طنطا" . رحمه الله وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثقله ومثواه . فله يد على العربية لم تُشكر بعد ، ولم يجد في مقابل إحسانه لأمته غير الإساءة من كثير من أبنائها ، ولم يلقَ في مقابل الوفاء إلا الولس والغدر منهم !! . انظر مقدمة تحقيقي لكتابه "السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية" (ص ٥-١١) .

الأروع ، والشاعرِ الثائر المبدع ، صاحبِ الذوقِ الرقيقِ ،  
والفهمِ الدقيقِ ، الغواصِ على جواهر المعاني، الضاربِ  
على أوتار مثالثها والمثاني<sup>(١٨)</sup> ، أبي السامي مصطفى صادق  
الرافعي (قدس الله سره) . وهو أول من حاكاه باسمه ،  
وذلك في معركته مع طه حسين ، إذ عبث الأخير بقلمه  
وألف كتابه الأبتَر "في الشعر الجاهلي" ، وأتى فيه بكل  
نقيصة . طعن في القرآن ، وأبدى فهمًا خَلَفًا أخط من فهم  
الأتان ، ورأيًا قبيحًا شقيحًا ، وترجم فكرة زوراء جاء بها  
شَعْرَاء ذات وبر كما تقول العرب<sup>(١٩)</sup> .

---

(١٨) وصفه بذلك الإمام العلامة ، الخبر الفهامة محمد رشيد رضا (منشئ  
مجلة المنار) ( / ) في عرضه لكتاب "إعجاز القرآن" للرافعي [ (ص ١٧)  
ط / دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ] .

(١٩) لا أجد وصفًا لـ "فلان" ولكن على نهجه يسير من الكُتَّاب والصحافيين  
أبلغ من قول أبي عثمان الجاحظ في أسلافهم وكانوا أعلم منهم وأكثر تحصيلًا

وذكاء : (( ثم الناشئ فيهم إذا وطئ مقعد الرئاسة ، وتورك مشورة الخلافة ، وحجرت السلة دونه ، وصارت الدواة أمامه ، وحفظ من الكلام فتيقهُ ، ومن العلم مُلَحَهُ ، وروى لبُرْجَمَهَر أمثاله ، ولأردشير عهدُهُ ، ولعبد الحميد رسائلُهُ ، ولابن المقفع أدبُهُ ، وصيّر كتاب مَزْدَك معدن علمه ، ودفتر "كليلة ودمنة" كُنز حكيمته ؛ ظن أنه الفاروق الأكبر في التدبير ، وابن عباس في العلم بالتأويل ، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام ، وعلي بن أبي طالب في الجراءة على القضاء والأحكام ، وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة ، وإبراهيم بن سيار النظام في المكائنت والمجانسات ، وحسين النجار في العبارات والقول بالإثبات ، والأصمعي وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب !! فيكون أول بدئه الطعن على القرآن في تأليفه ، والقضاء عليه بتناقضه !! ثم يُظهر ظرفه بتكذيب الأخبار ، وتهجين مَنْ نقل الآثار !! فإن استرجح أحد عنده أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتل عند ذكرهم شذقه ، ولوى عند محاسنه كَشَحَهُ !! وإن ذكر عنده شريح جَرَّحَهُ ، وإن نُعت له الحسنُ استثقله ، وإن وُصف له الشعبي استحمقه ، وإن قيل له : ابن جُبَيْر استجهله ، وإن قُدِّم عنده النخعي استصغره !! )) هـ. ولا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . وَمِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ

فهب أهل العلم زرافاتٍ ووُحْدَانًا يردون على الرجل  
مخازيه ..

(( لقد كان شيئاً منكراً أن يزعم كاتب أن له الحق في أن  
يتجرد من دينه ليحقق مسألة من مسائل العلم ، أو يناقش  
رأياً في الأدب ، أو يمحّص رواية من الرواية في التاريخ .  
لم يكن أحد من كتاب العربية ليترخص لنفسه في ذلك  
فيجعل حقيقة من حقائق الدين في موضع الشك ، أو نصّاً  
من نصوص القرآن في موضع التكذيب ، ولكن الدكتور  
طه قد فعلها وترخص لنفسه ، ومنح نفسه الحق في أن  
يقول قالة في القرآن وفي الإسلام وفي تاريخ الإسلام (٢٠) .

الدكتور طه حسين قد رجع عن قوله في الشعر الجاهلي . وقد فصلنا ذلك في  
كتابنا "مجمع البحرين في المحاكمة بين الرافعي وطه حسين" .

(٢٠) استدل "فلان" للمقالة التي سرقها من الهالك مرجليوث ( David  
Samuel Margoliouth ) وترجمها ثم نسبها لنفسه بعد أن زاد فيها

وأبدل بحجج هي أشبه شيء بما ذكره أبو حاتم ابنُ حبان ( / ) في فاتحة كتابه "المجروحين" (٨٧/١) ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ عمرَ بنِ محمدِ الهُمْداني ، حدثنا أبو يحيى المستملي ، حدثنا أبو جعفر الجوزجاني ، قال : حدثني أبو عبد الله البصري ، قال : أتيت (الإمام الكبير) إسحاقَ ابنَ راهويه ، فسألته شيئاً ، فقال : صنع الله لك .

فقلت : لم أسألك صنع الله إنما سألتك صدقة ! .

قال : لطف الله لك .

فقلت : لم أسألك لطف الله ، إنما سألتك صدقة .

قال : فغضب ، وقال : أيها الرجل ! الصدقة لا تحل لك .

قلت : ولم يرحمك الله ؟

قال : لأن جريراً حدثنا عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (( لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِعَنِيٍّ ، وَلَا لِذِي مَرَّةٍ سَوِيٍّ )) ، وأنت قويٌّ ذو مرة سوي .

فقلت : ترفق - يرحمك الله - ؛ فإن معي حديثاً في كراهية العمل ! .

فقال إسحاقُ : وما هو ؟

فقلت: حدثني ابن عبد الله الصادق الناطق (ثم ساق سنداً مكذوباً إلى) عجيف بن عنبسة، عن زعلج ابن عم أمير المؤمنين أنه قال: ((العمل شؤم، وتركه خير، تقعد تُهنّي، خير من أن تعمل تُعنّي))!! .  
فقلنا: لا إله إلا الله .

قال: فضحك إسحاق وذهب غضبه، وقال: زدنا من هذا الحديث.  
فقلت: وحدثني أبو عبد الله الصادق الناطق بإسناده عن عجيف، قال: قعد زعلج يوماً في جلسائه، فقال: أخبروني بأعقل الناس .  
فأخبر كل واحد منهم بما عنده .

فقال لهم: لم تصيبوا .  
فقالوا له: فأخبرنا بأعقل الناس عندك .

قال: أعقل الناس الذي لا يعمل، لأن من العمل يجيء التعب، ومن التعب يجيء المرض، ومن المرض يجيء الموت، ومن عمل فقد أعان على نفسه، وقال الله (تبارك وتعالى): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ

رَحِيمًا ﴿النساء: ٢٩﴾ .

قال إسحاق: زدنا من حديثك .

قال: وحدثني أبو عبد الله الصادق الناطق بإسناده عن زعلج قال: ((مَنْ أطعم أخاه تمرًا غفر الله له عدد النوى ، وَمَنْ أطعم أخاه هريسة غفر الله له مثل الكنيسة، وَمَنْ أطعم أخاه جبنًا غفر الله له ألف ذنب)) !! .  
قال: فضحك إسحاق، وأمر له بدرهمين ورغيفين وعودين)) انتهى .

وما مثل "مرجليوث" في تحبطه وجهله و"فلان" في هوان دينه عليه إلا كممثل الإمام والقاضي في تلك الرواية التي ذكرها الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ( / ) في صدر كتابه "الأنساب" [ج ١ ص ٢٨-٢٩] ط / دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان] قال : أخبرنا أبو محمد يحيى بن علي بن الطراح المدير بقراءتي عليه ببغداد ، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ ، ثنا منصور بن ربيعة الزهري بالدينور ، قال: سمعت بعض القضاة يحكي أن رجلاً قال: دخلت حمص وفي فمي درهم ؛ لعلني أرى شيئاً فأشتريه به ، فإذا رجل جالس بباب الجامع على كرسي، وعلى رأسه عمامة متحنك بها ، وقد ترك فوقها قلنسوة ، وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل ، وقد تقلد بسيف ، وفي حجره مصحف يقرأ منه، وعنده كلب رابض ، وقد تمسك بمقوده ، فسلمت عليه ، فرد السلام، فقلت: أترى القوم قد صلوا ؟

قال: فأنت أعمى ما تراني قاعداً ؟!

قلت: مَنْ أنت ؟

قال: أنا أبو خالد إمام الجامع ، وكلبي أبو جعفر!

قلت : أتخفظ القرآن ؟

قال: نعم .

قلت : ما هذه الضوضاء والجلبة ؟

قال: ورد رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ، ويشتم أبا بكر الصناديقي!  
وعمر القواريري !! وعثمان بن أبي شيبة !!! ومعاوية بن غسان الذي هو من  
حملة العرش ، وزوجه النبي ابنته عائشة في زمن الحجاج بن يوسف ،  
فاستولدها الحسن والحسين !!! .

فقلت : ما أسخن عينك! ما أعرفك بالمقالات والأنساب! .

قال: وما خفي عليك أكثر .

قلت: فاقراً شيئاً من القرآن .

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : (( وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني  
لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين  
أمهلهم رويداً )) !! .

فرفعت يدي وصفعته صفعة سقطت عمامته ، وبقي التحنك في عنقه ،  
فصاح بالناس فلببوني ، وقال : احموه إلى المحتسب .

وقرأ الرافي ما قال طه ، فغضب غضبته للدين وللقرآن  
وتاريخ المسلمين ، ونقل المعركة من ميدان إلى ميدان .  
ووقفت الدوافع السياسية إلى جانب الرافي تؤيده  
وتشد أزره. وبلغت النصيحة آذان شيوخ الأزهر ، فذكروا

فكل من لقيني قال: ما فعل ؟ قالوا : صفع إمام الجامع ، قال : يا مسكين!  
أهلك نفسك ، فقلت : كذا حكم الله فصبراً عليه .  
حتى وصل بي إلى المحتسب ، فإذا رجل حاسر حافٍ ، قد لبس دراعة بلا  
سراويل ، فقدمت إليه .  
فقالوا : هذا صفع إمام الجامع .  
فقلت : نعم .  
قال : يا مسكين ! أهلك نفسك .  
قلت : كذا حكم الله فصبراً عليه .  
قال : أيما أحب إليك : سمل العين ، أو قطع اليد ، أو نصف درهم ؟!  
فرفعت يدي وشفعت المحتسب صفقة ، ثم أخرجت الدرهم من فمي ،  
وقلت : نصف درهم لك ، ونصف درهم لإمامك ، وانصرف (( انتهى .

أن عليهم واجباً للدفاع عن الدين والقرآن؛ فجمعوا جماعتهم إلى الجهاد ... ومضى الرافعي في حملته تؤيده كل القوى ، وتشد أزره كل السلطات ((<sup>(٢١)</sup>) ، إلى أن مثّل طه أمام القضاء ، وكان من أمره وأمر كتابه ما كان .

وقد جمعت مقالات الرافعي بعد في كتاب "تحت راية القرآن . المعركة بين القديم والجديد" .

والذي يعنيننا هنا هو أن الرافعي في أثناء رده أفتن أنواعاً من الردود، وحاك أثواباً من التهكم ألبسها طه وغيره ، كان من بينها محاكاته "كليلة ودمنة" .

---

(<sup>21</sup>) "حياة الرافعي" (ص ١٥٥-١٥٧) بتصرف .

يقول الأستاذ محمد سعيد العريان (رحمه الله) في كتابه  
"حياة الرافعي" [ (ص ١٦٥-١٦٧) ط / المكتبة التجارية  
الكبرى - الطبعة الثالثة ] :

((إن مبالغة الرافعي في التهم قد شقت له فنوناً من  
المعاني والأساليب ، لولا الناحية الشخصية منها لكانت  
نماذج لها اعتبار وقيمة في أدب الإنشاء ؛ ولبدع هذه  
الأساليب حديثه عن "كليلة ودمنة" وما نحلها من الرأي  
فيما تناول من فنون الأدب .

و"كليلة ودمنة" كتاب في العربية نسيج وحده ، لم  
يستطع كاتب من كتاب العربية أن يحاكيه منذ كان ابن  
المقفع ، إلا مصطفى صادق الرافعي .

وكانت أولى هذه المحاكاة اتفاقاً ومصادفة ، في مقالة من  
مقالات الرافعي ، في طه حسين ؛ إذ أراد أن يتهكم

بصاحبه على أسلوب جديد ، فبعث كليله ودمنه ليقول  
على لسانها كلامًا من كلامه ورأيًا من رأيه ؛ فلما أتم تأليف  
هذا الفصل عاد يقرؤه ، فإذا هو عنده يكاد من دقة  
المحاكاة وقرب الشبه أن ينسبه - على المزاح - إلى ابن  
المقفع فلا يشك أحد في صدق روايته ، فنشره بعدما قدم  
له بالكلمة الآتية :

(( عندي نسخة من كتاب "كليله ودمنه" ليس مثلها  
عند أحد . ما شئتُ من مثل إلا وجدته فيها ؛ وقد رجعت  
إليها اليوم فأصبت فيها هذه الحكاية ... )) .

(( قال كليله : أما تضرب لي المثل الذي قلت يا دمنه ؟  
قال دمنه : زعموا أن سمكة في قدر ذراع ... )) .  
ومضى في اختراعه وتهكمه حتى انتهى إلى رأي دمنه في  
الدكتور طه حسين ...

ثم استمر ينقل - عن نسخته الخاصة - من "كليلة ودمنة" ما يجعله مقدمة القول للتهكم فيما يلي من مقالات في الرد على الدكتور طه حسين ، فنشر منها ثمانية فصول طريفة ممتعة في كتاب المعركة ، وإن قارئ هذه الفصول الثمانية ليرى فيها لوناً طريفاً من أدب الرافعي ، لو أن الظروف واثته لأتمه فأنشأ به في العربية إنشاءً جديداً له خطر ومقدار ، على أن الرافعي لم يكن يقصد أول ما قصد أن يتمه كتاباً ، إنما دفعه إلى إنشاء هذه الفصول السبعة بعد الفصل الأول ما لقي من استحسان القراء لهذا اللون الجديد من أساليب التهكم في النقد ، وأحسب أن الدكتور طه حسين نفسه كان معجباً بهذه الفصول الثمانية من كليلة ودمنة مع ما يناله فيها مما يؤلم ويسيء ، كما كان يعجب (فلان) بما ينشر له من الصور الرمزية الساخرة لأن فيها فناً ومقدرة ...!

وانتهى الرافعي من حديث "كليلة ودمنة" بعد انتهاء هذه المعركة ، وظل مهملًا (نسخته الخاصة) ست سنين بعد ذلك ، حتى تذكرها في سنة ١٩٣٣ في إبان المعركة بينه وبين العقاد في "وحي الأربعين" ، فنشر الفصل التاسع منها في "البلاغ" بعنوان "الثور والجزار والسكين".

ثم نشر في "الرسالة" سنة ١٩٣٥ الفصل العاشر بعنوان "كفر الذبابة!" يعني بها : مصطفى كمال (كمال أتاتورك) وحركته الدينية .

وقد كان في مُنية الرافعي أن يتم هذه النسخة من "كليلة ودمنة" يعارض بها كتاب ابن المقفع أو يتمه ، ولكنه لم يوفق ، وكان في ذلك خير ؛ فهذه الفصول في موضعها من الكتب التي نُشرت بها أجمل وأخف ، وإفرادها بالنشر يحملها على تكلف الصنعة ، ويباعد بينها وبين أذواق القراء . على أن هذه الفصول لا اتصال بينها في موضوعها

---

بحيث تصلح للنشر متساوقة متتابعة كما تتساوق الفصول  
والأمثال في كتاب ابن المقفع (( ١.هـ.



## شبهة المعارض على "كليلة ودمنة"

ونأتي إلى بيت القصيد ، وذلك أن المعارض لما علم بخبر  
شروعي في تحقيق "كليلة ودمنة" عذلي فيه وشدد النكير،  
زاعماً أن إرسال الحكمة على ألسنة البهيم من الحيوان مما لا  
يجوزه الشارع الحكيم ؛ إذ إنه كذب لم يكن !  
ولقد استدل على زعمه هذا بحجج واهيات ، وأقوال  
لبعض المتشدين سميحات ، فأعرضت عن ذكرها  
صفحة؛ إذ إن مجرد سماعها يغني عن تكلف الرد عليها ،  
سوى حجتين قد يظن بعض الأفاضل أنهما له ، ولا  
كذلك.

- أولاهما : استدلاله بما رُويَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((بُسَّ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعُمُوا))!.
- الثانية : أن صاحبنا نادى بأعلى صوته حاكماً على نفسه بعدم الاطلاع فقال : ((إنه بعد الفحص والكشف ، والسبر والفتش ... إلى آخر تلك الدعاوى الفارغات ... لم يرَ أحداً من أهل العلم أورد من هذا النوع شيئاً في كتبه ، وأن هذا الأمر لا نَجْمَ له (٢٢) عندهم)) !!! وبناء عليه يتعين القول بتحريم إيراد ما هو من جنسه !

والليالي من الزمان حبالى      مثقلات يلدن كل عجيب




---

(٢٢) يقال : "ليس لهذا الحديث نَجْمٌ" أي : ليس له أصل . "الصحيح" للجوهري .

## صفة المعترض

ومما يدعو للهَكَرِ (٢٣) أن صاحبنا هذا - الأديب الكبير  
سابقاً الفقيه المفتي من جرّاي حالياً! (٢٤) - لا تكاد

---

(٢٣) الهكر: العَجَب . وقيل: الهكر: أشد العجب . والهكرُ: المتعجب .  
(٢٤) ففي حوزته مُسَوِّحٌ كثيرة يلبسها حيث أراد ، وقد ارتدى هنا ثياب أهل  
الفتوى ، ولست أتعجب من جرّاته ، لكن لم يخطر بخلدي قَطُّ أنه سيأتي اليوم  
الذي يُصدر فيه فتياً معتمداً فيها على حديث بتصحيح العلامة محدث الشام  
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (أحسن الله جزاءه، وأدام عزّه وعلاءه) ،  
وقد كان قبلُ - وإخال أنه لا زال - هو والشيخ الألباني لا يأخذان في طريق،  
ولكن الأمر كما قال أبو الطيب: ((لَهَوَى النَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ)) !! .

الْكِرْكِرَة (٢٥) تفارق شفتيه (عامرةً كانت أو صافية!) ،  
 فيبينهما آصرة وصدق وُدٍّ ، كأن دخانها وَحْيٌ يهديه ، فبه  
 يناظر ويجادل ، وهو دائم الفخار - إبان كَرَكرته - بعدم  
 خشيته مِنْ ...

وهو مع ذلك فقيه قهوته ، وإمام نديه ، والصدر المُقَدَّم  
 لديهم في كل فن !! ؛ مِنْ أَجل ورقة حصل عليها ولا  
 كالأوراق ، فهي معتمدة من لدن ....

ومن السُّعْر والذهاب عن الحق أن يجترئ أحدٌ على  
 تخطئته ، بل الواجب على مَنْ أراد النجاة لنفسه أن يقول  
 له: أنا دَرْجُ يديك (٢٦) ، وأن يُلقِيَ عليه أَرْوَاقَه

---

(٢٥) الكركرة : اسم وضعه الرافعيُّ لـ "الشيشة" ، أو "النَّارِجِيلَة" ، أخذًا من  
 صوتها ، كما صنع العرب في تسميتهم (القطا) أخذًا من صوت هذا الطائر ،  
 وكما هي طريقتهم . وتجمع (الكركرة) على "كراكير" ، بالياء ؛ للخفة .  
 (٢٦) أي : طوع يديك .

وشرائره<sup>(٢٧)</sup>، وإلا سلط عليه سيفه - وسيفه أفل غير

باتك !! - ؛ فهو من هو ، إنه .... !!

وليس له بالشرع كبير علم ، وإلا لسلمت له وبجلته على عادي<sup>(٢٨)</sup> مع أهله ، إنما هو شاد متصدر ، معترض لا يفتر<sup>(٢٩)</sup>، مجادل لججة ، من نوع قولهم "عنزة ولو طارت".

(٢٧) يقال : ألقى فلان عليك أزوآقه وشرائره ، وهو أن تحبه حباً شديداً .

(٢٨) ومع ذلك فقد جريت معه هنا على المجاملة ما أمكن ، ولم أبعث إليه ((بقذائف وشهب !!)) على نحو ما صنعت في كتابي "هدم الدساكر على من بغى على الرافي وشاكر" ؛ فالأمر هنا متعلق بالشرع الكريم ، فينبغي التأدب بأدابه . فليكن منه على ذكر أن هدأتي - فيما يأتي - ليست عن عي ولا حصر !!

(٢٩) يسلك مذهب : "خالف تعرف" ، فهو دائماً معترض على العلماء ، قادح في الأدباء والشعراء ، واقع في المؤرخين ، معارض للمصلحين والمستقيمين .. وهلم جراً واعتراضاً وحنقاً !!! والحق يبين لكل من يعلم كثرة شغبه أنه مثال صحيح لقولهم : "ضعاف الأسد أكثرها زئيراً" .

والعلم يا صاحٍ لم يكُ يوماً ، ولن يكون ، بالعُجْهِيةِ  
والصلف ، والادعاء والتليس ، ولا يُؤخذ عَنَوَةً وقسراً ،  
إنما هو بحث وسؤال ، وأدلة وحجج ، ورحم الله مَنْ  
قال:

وان لم تصب في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصواب صوابٌ

ولا يظن ظانٌ أنه إن ردَّ شخصٌ ما بجهلٍ على إمام ، أو  
تهكم بهام ، أو قدح في أديب ، أو سلط لسانه على نجيب ،  
أو سَفَّه نبيلًا ، أو جهَّل عليمًا ؛ إنه لحائز مرتبته ، وبالع  
منزلته ! كلا كلا . ومَنْ توهم ذلك واستقبل الطعن يسوقه  
في الناس ؛ فقد ضل يا سادة طريقَ الهداية ، وهو في الغواية  
غاية ، وفي قلة النُّهى نهاية !!

وإنما مثله كمثل العنكبوت رأت دودة القز تنسج ،  
فأقبلت تتشبهُ وقالت : (( لك نسج ولي نسج )) !! .

فَقَالَتْ دَوْدَةُ الْقَز: (( وَلَكِنْ نَسْجِي أَرْدِيَّةُ بَنَاتِ الْمَلُوكِ ،  
وَنَسْجِكِ شَبَكَةُ الذَّبَابِ ، وَعِنْدَ مَسِ النَّسِيجِينَ يَبِينُ  
الْفَرْقُ )) .

وَفِي الْمَثَلِ : (( لَيْسَ قَطًّا مِثْلُ قُطِيٍّ )) أَي : لَيْسَ الْأَكْبَرُ  
كَالْأَصَاغِرِ .

وَلَيْسَ سَبَاعُ الْبَرِّ مِثْلُ ضَبَاعِهِ وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْعَجَاجَةَ عَنَتَرُ

وَمَنْ أَرَادَ الذِّكْرَ لِنَفْسِهِ وَالشَّهْرَ لِاسْمِهِ عَلَى حِسَابِ  
الطَّعْنِ فِي الْأَشْرَافِ وَتَنْقِصِهِمْ فَهُوَ "جَرَادِيُّ الْمَذْهَبِ" ،  
"حَسَدِيُّ الطَّبَعِ" .

فَأَمَّا كَوْنُهُ "حَسَدِيُّ الطَّبَعِ" ، فَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْحَسَدِ ،  
وَالْحَسَدُ دُويِّية يُقَالُ لَهَا : الْقُرَادُ ، تَقْشُرُ الْجِلْدَ فَتَمَصُّ دَمَهُ ،  
وَمِنْهُ أُخِذَ الْحَسَدُ . وَمَنْ كَانَتْ صِفَتُهُ مَا قَدَمْنَا فَإِنَّمَا بَاعَثَهُ  
عَلَيْهَا الْحَسَدُ ، وَمِنْ حِكْمَةِ رَبِّكَ أَنْ يَعَامَلَ الْحَاسِدَ بِنَقِيضِ

قصده ، فيزيد في رفعة المحسود بسببه . كما قال أبو تمام  
حبيبُ بن أوس الطائي (المتوفى سنة إحدى وثلاثين  
ومائتين) :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت      أتاح لها لسانَ حَسود  
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت      ما كان يُعرفُ طيبُ عَرَفِ العود  
لولا التخوفُ للعواقب لم تنزل      للحاسد النُّعمى على المحسود

وأما نسبتي إياه للجراد ؛ فلأنه يحيا على انتقاص غيره ،  
وقد ذكر الجاحظ في "البيان والتبيين" أن أعرابياً قال وهو  
يمزح :

مَرَّ الجَرَادُ على زرعِي فقلتُ له      الزمْ طريقَكَ لا تُولعْ بِإفسادِ  
فقالَ منهم خطيبٌ فوقَ سُنْبِلَةٍ      إِنَّا على سَفَرٍ لا بُدَّ مِن زَادٍ !



## الرد على المعارض

وجواباً عليه أقول موجزاً : أي فُل (٣٠) ! :

- أولاً : يقول علماء الحديث : (( أثبت العرش  
ثم انقش )) ، ولا ينبغي لمُبَغِّغ (٣١) أن يتصدر  
للفتيا ، فما أَخْلَكَ (٣٢) - وقد تعرضت لها أيها

---

(٣٠) أي : يا فلان . وليس حذف النون هاهنا ترخيماً ، إنما هي كلمة على  
حدة ؛ لأنها لا تقال إلا بسكون اللام ، ولو كان ترخيماً لفتحوها أو ضموها .  
قال سيبويه : (( ليست ترخيماً ، وإنما هي صيغة ارتجَلَتْ في باب النداء )) .  
انظر "لسان العرب" (١٦٧/٧) ط / دار الحديث بالقاهرة .

(٣١) المَبَغِّغ : السريع العَجَل .

(٣٢) ما أَخْلَكَ إلى هذا : أي : ما أحوَجَكَ .

الأديب الكبير! - إلى التَّؤْدَةِ والتحقيق  
والتَّنَطُّسِ (٣٣).

فالحديث الذي استدلت به لا يصح عن النبي  
(ﷺ) ؛ وهاك البيان :

الحديث أخرجه الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ( / )  
في "مسنده" (١١٩/٤) من طريق الإمام المبارك أبي عبد  
الرحمن عبد الله ابن المبارك ( / ) ، وهو في كتاب  
"الزهد" (٣٧٧) له ، قال: ثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي  
كثير، عن أبي قلابة ، عن أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه)  
أنه قيل له: ما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في  
"زعموا" ؟ قال: ((بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا)).

(٣٣) التَّنَطُّسُ : تدقيق النظر في الأمور واستقصاء علمها .

وأخرجه الإمام أحمد (٤٠١/٥)، وأبو داود في "سننه" (٤٩٧٢)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧٦٢)، والبيهقي في "السنن الكبير" (٢٤٧/١٠)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١٣٣٤) وغيرهم من طرق عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة قال: قال أبو عبد الله لأبي مسعود، أو: قال أبو مسعود لأبي عبد الله - يعني: حذيفة - : ما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في زعموا؟ قال: سمعته يقول: ... فذكره .

وهذا سند ضعيف؛ أبو قلابة لم يسمع من حذيفة ولا من أبي مسعود كما جزم بذلك غير واحد من أهل العلم<sup>(٣٤)</sup>.

---

(٣٤) أما الأسانيد التي وقع فيها تصريح أبي قلابة بالسماع - كما عند القضاعي في "مسند الشهاب" (١٣٣٥) من طريق الطحاوي وهو في "تأويل مشكل الآثار" له - ففيها الوليد بن مسلم، يدلّس تدليس التسوية، فلا بد والأمر

وفي ترجمته من "التهذيب" (ج ٣/ص ١٤٨): ((أرسل عن عمر، وحذيفة، وعائشة)) انتهى.

والحديث قال عنه الإمام الذهبي ( / ) في "المهذب": ((فيه إرسال)). وقال ابن عساكر ( / ) في "الأطراف": ((حديث منقطع؛ لأنه من رواية عبد الله بن زيد الجرمي [يعني: أبا قلابه] عن حذيفة، وهو لم يسمع منه)) كذا في "فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي (٢٧٧/٣).

وقد وصله يحيى بن عبد العزيز عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابه عن أبي المهلب أن عبد الله بن عامر قال: يا أبا مسعود! ما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في

---

كذلك من أن يصرح بالتحديث في جميع طبقات الإسناد، وهذا لم يكن، فليس إلا الطرح.

"زعموا"؟ قال : سمعته يقول : (( بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ )) ،  
وسمعه يقول : (( لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ )) (٣٥) . أخرجه  
البخاري ( / ) في "الأدب المفرد" (٧٦٣) ، وغيره في  
غيره .

ولكن يحيى بن عبد العزيز هذا ممن لا يحتمل تفرده بمثل  
هذه المخالفة .

ولقد بوب الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري  
( / ) في "صحيحه" في [كتاب الأدب] بقوله : [باب ما  
جاء في زعموا] .

---

(٣٥) ولا يخفأك أيها القارئ اللبيب! أن الشطر الثاني من الحديث صحيح لا  
ريب فيه ؛ فقد أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث ثابت بن الضحاك  
(رحمته الله) ، وكذا الطبراني من رواية عمران بن حصين (رحمته الله) ...

قال الحافظ ابن حجر ( / ) في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" [(١٠/٦٦٤) ط / دار الحديث بالقاهرة] :  
 (( كأنه [يعني: البخاري] يشير إلى حديث أبي قلابة قال:  
 قيل لأبي مسعود (...)) وذكر الحديث . ثم قال :  
 (( رجاله ثقات ، إلا أن فيه انقطاعاً ، وكأنَّ البخاريَّ  
 أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ ،  
 وفيه قولها : (( زعم ابن أمي )) ؛ فإن أم هانئ أطلقت ذلك  
 في حق عليٍّ (رضي الله عنه) ، ولم ينكر عليها النبيُّ (ﷺ)  
 )) انتهى . ))

(٣٦) وهذا وجه قوي يُستدل به على ضعف الحديث . فالزعم هو القول ،  
 يكون حقاً ، ويكون باطلاً . والزعم فيه ثلاث لغات : الزَّعم ، والزُّعم ،  
 والزَّعم . بزاي مثلثة . تقول : زَعَمَ زَعْمًا وَزُعِمًا وَزِعْمًا . وفي حديث أنس بن  
 مالك (رضي الله عنه) قال : مُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ شَيْءٍ ، فَكَانَ يَعْجِبُنَا  
 أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ . فجاء رجل من

أهل البادية - هو ضمام بن ثعلبة (رحمته الله) - فقال : يا محمد ! أتانا رسولك  
 فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : (( صدق )) ... الحديث . قال  
 الإمام النووي ( / ) في "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"  
 (ج ١ ص ١٦٩) : (( قوله : ((زعم)) ، و ((تزعم)) مع تصديق رسول الله إياه  
 دليل على أن زعم ليس مخصوصاً بالكذب والقول المشكوك فيه ؛ بل يكون  
 أيضاً في القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه . وقد جاء من هذا كثير في  
 الأحاديث وعن النبي (ﷺ) قال : (( زعم جبريل كذا )) . وقد أكثر سييويه  
 - وهو إمام العربية - في كتابه - الذي هو إمام كتب العربية - من قوله :  
 "زعم الخليل ، زعم أبو الخطاب" . يريد بذلك القول المحقق . وقد نقل ذلك  
 جماعات من أهل اللغة وغيرهم . ونقله أبو عمر الزاهد في "شرح الفصيح"  
 عن شيخه أبي العباس ثعلب ، عن العلماء باللغة من الكوفيين والبصريين .  
 والله أعلم )) انتهى . وبهذا يتبين أن الدم والشين يلزمان من جعل هذه الكلمة  
 مطيةً يركبها ليقرر قولاً باطلاً ، أو ينسب لأحد مقالة بهتاناً وزوراً من غير  
 تثبت ولا صحة إسناد ، وعليه يُحمل قول شريح ( / ) - الذي ذكره الإمام  
 القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (٨٩/١٨) - : (( لكل شيء كنية ،  
 وكنية الكذب : زعموا )) . ثم وقفت على من أسند قول شريح هذا ، وهو أبو  
 بكر بن أبي خيثمة في "تاريخه الكبير" [(ج ٣/١٤٦-١٤٧) (٤١٩٦)] .

والحديث رمز الحافظ جلال الدين السيوطي ( / )  
 لضعفه في "الجامع الصغير" (٣١٨٨) .  
 فأنت ترى أن الحديث لم يثبت ؛ فقد سقط به  
 الاستدلال.

وروى مثله عن علقمة فانظر منه [ج٣/ص٩٠] ، رَفَم (٣٩٥٧) ط /  
 الفاروق الحديثة للطباعة والنشر . والحديث بوب له الإمام أبو بكر البيهقي  
 ( / ) في "السنن الكبير" (ج١٠ ص ٢٤٧) بقوله : [باب ما يُكره من رواية  
 الإرجاف وإن لم يُقدح في الشهادة] . وقال بعد أن أورده معلقاً في كتابه  
 "الآداب" [(ص ٢٥٢) ط / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان] : (( وفيه  
 إشارة إلى كراهية حكاية ما يزحف - كذا في النسخة التي بين يدي ، وأظن  
 الصواب : يرجف - من الأخبار )) ا.هـ . أما إذا قال أحدٌ مجرباً لحكمة أو  
 معلماً خلقي أو منبهاً على مطلبٍ بمثالٍ : قال الأسدُ ، أو قالتِ الحِذَّةُ ، أو  
 السُّلْحَفَةُ ... فهل يُطالب بإثبات صحة الإسناد إلى المذكورين خشيةً أن يكون  
 هذا القول كذباً عليهم ومفتري !!؟

ولو سلمنا جدلاً بثبوتَه لما تم لصاحبنا الاحتجاج به على صحة فتواه ، ولا أن يزعم أنه قد برهنَ على ما ادعاه ، وهو الوجه الثاني .

● ثانيًا : فإن أحدًا من أهل العلم لم يفهم هذا الفهم من الحديث ، ولم يحتج به كما احتج هو ، وكتب الشروح بين أيدينا فليرجع إليها مَنْ شاء معرفة الوجه الذي حملوه عليه . ويؤيد ذلك أن ابن المبارك - وهو من رواة الحديث كما مرَّ ذكرُهُ - قد روى عن سفيان الثوري حكايةً على لسان الثعلب والكلب . وستأتي إن شاء الله (تعالى) .

● ثالثًا : عندي من تصرفات الأئمة ما يرد على صاحبنا ، قالاً وحالاً بإيرادهم ذلك في كتبهم ،

ولو كان منكراً ما فعلوه كما لا يخفى على كل  
 ذي عقل وظن حسن .

- فأما الأقوال فكثيرة ، أجتزئ منها بما نقله الفقيه  
 ابن حجر الهيتمي الشافعي ( / ) عن بعض أئمة  
 الشافعية في قول النبي (ﷺ) : (( حدثوا عن  
 بني إسرائيل ولا حرج )) ، وفي رواية : (( فإنه  
 كانت فيهم أعاجيب )) (٣٧) ، قال : (( هذا دال على  
 حل سماع الأعاجيب للفرجة لا للحجة )) ١. هـ .  
 قال الهيتمي ( / ) : (( ومنه يؤخذ حل سماع  
 الأعاجيب والغرائب ، من كل ما لا يتيقن كذبه بقصد

---

(٣٧) وهنا أستطيع أن أحيل صاحبنا إلى "سلسلة الأحاديث الصحيحة"  
 لسيدي العلامة الرباني محمد ناصر الدين الألباني (قدس الله روحه في الجنة) ،  
 (١٠٢٨/٦) الحديث رقم (٢٩٢٦) .

الفرجة ، بل وما يتيقن كذبه لكن قصد به ضرب  
 الأمثال والمواعظ وتعليم نحو الشجاعة على السنة  
 آدميين أو حيوانات )) انتهى من "تحفة المحتاج بشرح  
 المنهاج" لابن حجر الهيتمي ، المطبوع بهامش حاشيتي  
 العلامة الشيخ عبد الحميد الشرواني ، والعلامة الشيخ  
 أحمد بن قاسم العبادي على "تحفة المحتاج"  
 [ (ج ٩ / ص ٣٩٨ ط / المكتبة التجارية الكبرى ) .

وقد استدل بعضهم على الجواز - بشرط أن يكون  
 المعنى المراد من المثل غير منهي عنه شرعاً - بقول الله  
 (جل ثناؤه) في سورة (ص) :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ  
 ﴿١٠٠﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ  
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا  
 تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٠١﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ

تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا  
وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٧٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ  
إِلَى نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ  
وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ  
﴿٧٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ  
مَّآبٍ ﴿٧٥﴾

ووجه الاستدلال ظاهر لا يخفى على القول بأن  
الخصم هاهنا ملكان ذكرا ما ذكرناه على سبيل الفرض  
والتقدير ، وهو قول الأكثر ، وحكاة النحاس إجماعاً .  
والحمد لله رب العالمين .

- وأما إثبات أن الأئمة من أهل الديانة أجزوا  
الحكمة والأمثال على السنة الحيوان فمما لا يكلف  
الباحث الخريث عرقاً من القربة ، وسأذكر  
لصاحبنا في الفقرة التالية ما يغني ، ولئن لم يرجع  
بعد ذلك إنه ... .. لخاطيء ملوم .



## فصل

فأ سفاق بعض ما جاء عن سلفنا من إءراء الحكم  
والأمثال على السنة البهفم من الءفوان

وكتب التراث تزخر بهذا الضرب من البفان ، ما بفن نشر  
ونظم ، وفكاد فكون إءراء الحكم والأمثال على السنة  
الءفوان قاسمًا مشتركًا بفن الأمم ؛ لأن الكلام (( إذا ففعل  
مئلاً ؛ كان ذلك أوضف للمنفق ، وأففن فف المعنى ، وأنق  
للسمع ، وأوسع لشعوب الففء )) (٣٨) .

---

(٣٨) اقتباس من كلام العلامة عبء الله بن المقفع فف كتابه "الأءب الصفر"  
(ص٣٨) بففففف .

ولولا أن المقام لا يتسع لذكرت كل ما وقفت عليه في هذا الباب ، وهو كثير جداً ، ولعل الله (تبارك وتعالى) يوفقنا لجمع ذلك في كتاب ، ولعمري إنه لحقيق أن يجمع ، فعونك اللهم وتيسيرك .

فلنقتصر على بضعة عشر مثلاً ، وجميعها عن أئمة أثبات من أهل الدِّينة والبصيرة عند المعترض ، بل عند أهل العلم طراً .

- قال الحافظ أبو نعيم ( / ) في كتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" [ (ج ٤ / ص ٣٠١ - ٣٠٢ / رقم ٥٨٢٤ ) ط / مكتبة الإيمان ] : حدثنا أبي ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن عبد الله الرازي ، حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود ، عن الشعبي أن رجلاً صاد

قُنْبَرَةٌ [ وفي نسخة : قُبْرَةٌ ] (٣٩) ، فلما صارت في يده  
 قالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك  
 وآكلك. قالت: ما أشفي من قَرَم (٤٠)، ولا أشبع  
 من جوع ، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك  
 من أكلي . أما واحدة أعلمك إياها وأنا في يدك ،  
 والثانية على الجبل ، والثالثة على الشجرة.  
 فقال: هات الواحدة.  
 قالت: لا تَتَلَهَفَنَّ على ما فاتك.

---

(٣٩) قال الجوهري في "الصحاح": ((القُبْرَةُ: واحدة القُبْرِ، وهو ضرب من  
 الطير... والقُنْبَرَاء لغة فيه. والجمع: القَنَابِر. والعامة تقول: القُنْبَرَةُ، وقد  
 جاء ذلك في الرجز)) انتهى باختصار .  
 (٤٠) القَرَم - بفتحتين - : شدة شهوة اللحم. وقد قَرِمَتْ إلى اللحم، إذا  
 اشتهيته .

فلما صارت على الجبل ، قالت: لا تصدق بما لا يكون أن يكون.

فلما صارت على الشجرة قالت: يا شقي! لو ذبحتني لأخرجت من حوصلي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً .

قال: فعَضَّ على شفتيه وتلهف . فقال: هات الثالثة .  
قالت: قد نسيت اثنتين فكيف أحدثك بالثالثة؟! ألم أقل لك: لا تتلهفن على ما فاتك ، ولا تصدقن بما لا يكون أن يكون؟ أنا ورشي ولحمي ودمي لا أكون عشرين مثقالاً .  
قال: فطارت وذهبت )) . انتهى .

وهذه الحكاية أوردتها أيضاً العلامة ابن عبد ربه في "العقد الفريد" مع اختلاف يسير في السياق .

• ثم قال أبو نعيم ( / ) (٤/٣٠٢/٥٨٢٥):

حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن محمد  
ابن زكرياء ، حدثنا عبد الله ابن عبد الوهاب ،  
أخبرني أحمد بن بشر ، عن علي ، عن عاصم ، عن  
داود ، عن الشعبي ، قال: مرض الأسد ، فعاده  
السباع ما خلا الثعلب . فقال الذئب: أيها الملك!  
مرضت فعادك السباع إلا الثعلب.

قال: فإذا حضر فأعلمني .

فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء ، فقال له الأسد: يا أبا  
الحُصَيْنِ! <sup>(٤١)</sup> عادني السباع كلهم فلم تعدني.  
قال: بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء.  
قال: فأني شيء أصبت؟

---

(٤١) أبو الحصين : كنية الثعلب .

قال: قالوا: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج!  
 فضرب الأسد بمخالبه إلى ساق الذئب . وانسل الثعلب  
 وقعد على الطريق ، فمر به الذئب والدماء تسيل عليه .  
 فناداه الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر! إذا قعدت بعد  
 هذا عند السلطان فانظر ماذا يخرج من رأسك ، وأما هذه  
 فقد خرجت من رجلك ! اهـ .

- وقال أبو نعيم أيضًا في "الحلية" (ج ٧/ص ٤١) :  
 حدثنا سليمان ، حدثنا عمرو بن أبي الطاهر  
 المصري ، حدثنا أحمد بن الحسين الكوفي بمصر ،  
 حدثنا أبو سعيد الثعلبي ، قال: قال سفيان  
 الثوري: قال الثعلب: تعلمت للكلب اثنين  
 وسبعين دستانًا ، فلم أر من الدستانات خيرًا من  
 ألا أرى الكلب ولا يراني)) . والثعلب يَفَرِّقُ من  
 الكلب .

ثم قال أبو نعيم : حدثنا محمد بن علي ، قال : سمعت  
 محمد بن موسى المصيصي يقول : سمعت إبراهيم بن  
 الحسن المقسمي يقول : حدثنا أبو سعيد الثعلبي ، قال :  
 سمعت عبد الله بن المبارك يقول : سمعت سفيان الثوري  
 يقول : لم أر للسلطان إلا مثلاً ضُرب على لسان الثعلب .  
 قال : قال الثعلب : عرفت للكلب نيفاً وسبعين دستاناً ليس  
 منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني .  
 قال سفيان : (( ليس للسلطان خير من أن لا يراك ولا  
 تراه )) .

- وذكر العلامة ابن عبد ربه في كتابه الماتع "العقد  
 الفريد" عن يحيى بن عبد العزيز ، قال : حدثني  
 نعيم ، عن إسماعيل ، عن رجل من ولد أبي  
 الصديق ، عن وهب بن منبه قال :

نصب رجل من بني إسرائيل فخاً ، فجاءت عصفورة  
فنزلت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنيًا ؟  
قال : لكثرة صلاتي انحنيت !  
قالت : فمالي أراك بادية عظامك ؟  
قال : لكثرة صيامي بدت عظامي !  
قالت : فمالي أرى هذا الصوف عليك ؟  
قال : لزهدي في الدنيا لبست الصوف !  
قالت : فما هذه العصا عندك ؟  
قال : أتوكأ عليها ، وأقضي بها حوائجي .  
قالت : فما هذه الحبة في يدك ؟  
قال : قُربان ، إن مرَّ بي مسكين ناولته إياها .  
قالت : فإني مسكينة .  
قال : فخذها .

فدنت ، فقبضت على الحبة ، فإذا الفخ في عنقها ،  
فجعلت تقول: قَعِي قَعِي . تفسيره: لا غَرَنِي ناسكُ مرأٍ  
بعدك أبداً .

قلت: وقد رُويت هذه الحكاية عن غير واحد بالفاظ  
متقاربة ، ونظمها أحمد شوقي ، فقال في "ديوانه" في  
الحكايات [ (ج ٤/ ١٢٥ - ١٢٦) ط / المكتبة التجارية  
الكبرى ] :

حِكَايَةُ الصِّيَّادِ وَالْعُصْفُورِ

صَارَتْ لِبَعْضِ الزَّاهِدِينَ صُورُهُ

مَا هَزَّؤُوا فِيهَا بِمُسْتَحَقٍّ

وَلَا أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ

مَا كُلُّ أَهْلِ الزَّهْدِ أَهْلُ اللَّهِ

كَمْ لَاعِبٍ فِي الزَّاهِدِينَ لَاؤِ

جَعَلْتُهَا شِعْرًا يَتْلَفَتُ الْفُطُنُ

وَالشُّعْرُ لِلْحِكْمَةِ مُذْ كَانَ وَطَنُ

وَخَيْرُ مَا يُنْظَمُ لِلْأَدِيبِ  
 مَا نَطَقَتْهُ أَلْسُنُ التَّجْرِبِ  
 أَلْقَى غُلَامٌ شَرَكًا يَصْنَطَادُ  
 وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى صَيَّادُ  
 فَأُنْحَدَرَتْ عُصْفُورَةٌ مِنَ الشَّجَرِ  
 لَمْ يَنْهَهَا النَّهْيُ وَلَا الْحَزْمُ زَجَرَ  
 قَالَتْ: سَلَامٌ أَيُّهَا الْغُلَامُ  
 قَالَ: عَلَى الْعُصْفُورَةِ السَّلَامُ  
 قَالَتْ: صَبِيٌّ مُنَحْنِي الْقَنَاقَةُ؟  
 قَالَ: حَنْتُهَا كَثْرَةُ الصَّلَاةِ  
 قَالَتْ: أَرَاكَ بَادِي الْعِظَامِ؟  
 قَالَ: بَرْتُهَا كَثْرَةُ الصِّيَامِ  
 قَالَتْ: فَمَا يَكُونُ هَذَا الصُّوفُ؟  
 قَالَ: لِبَاسُ الزَّاهِدِ الْمُوصُوفِ  
 سَلِي إِذَا جَهَلْتَ عَارِفِيهِ  
 فَابْنُ عُبَيْدٍ وَالْفُضَيْلُ فِيهِ

قَالَتْ: فَمَا هَذِي الْعَصَا الطَّوِيلَةُ؟  
 قَالَ: لِهَاتِيكَ الْعَصَا سَلِيلَةُ  
 أَهْشُ فِي الْمَرْعَى بِهَا وَأَتَكِّي  
 وَلَا أَرُدُّ النَّاسَ عَنْ تَبَرُّكِ  
 قَالَتْ: أَرَى فَوْقَ الثُّرَابِ حَبًّا  
 مِمَّا اشْتَهَى الطَّيْرُ وَمَا أَحَبًّا  
 قَالَ: تَشَبَّهُتُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ  
 وَقُلْتُ: أَقْرِي بِأَسَاتِ الطَّيْرِ  
 فَإِنْ هَدَى اللَّهُ إِلَيْهِ جَائِعًا  
 لَمْ يَكُ قَرِيبَانِي الْقَلِيلُ ضَائِعًا  
 قَالَتْ: فَجُدْ لِي يَا أَخَا التَّنَسُّكِ  
 قَالَ: الْقُطَيْبُ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ  
 فَصَلَّيْتُ فِي الْفَخِّ نَارَ الْقَارِي  
 وَمَصْنَعُ الْعَصْفُورِ فِي الْمُنْتَقَارِ  
 وَهَتَفْتُ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ  
 مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ:

إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالزُّهَادِ

كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَيَّادٍ

• وقال أبو الفضل الميداني في كتابه "مجمع الأمثال"  
في المثل رقم (٨١): (( إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ  
الْأَبْيَضُ )) :

(( يُرَوَّى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا (عليه السلام) قَالَ :

إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ عَثْمَانَ (عليه السلام) كَمَثَلِ اثْنَيْنِ ثَلَاثَةَ كُنَّ فِي  
أَجْمَةٍ: أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ وَأَحْمَرٌ، وَمَعَهُنَّ فِيهَا أَسَدٌ .

فَكَانَ الْأَسَدُ لَا يَقْدِرُ مِنْهُنَّ عَلَى شَيْءٍ ؛ لِاجْتِمَاعِهِنَّ عَلَيْهِ،  
فَقَالَ لِلثَّوْرِ الْأَسْوَدِ وَالثَّوْرِ الْأَحْمَرِ: لَا يَدُلُّ عَلَيْنَا فِي أَجْمَتِنَا  
إِلَّا الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ ؛ فَإِنْ لَوْنُهُ مَشْهُورٌ، وَلَوْ نِي عَلَى لَوْنِكُمَا،  
فَلَوْ تَرَكْتُمَانِي أَكُلُهُ صَفَّتْ لَنَا الْأَجْمَةُ!  
فَقَالَا: دُونَكَ فَكُلْهُ ! فَأَكَلَهُ .

ثم قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني أكل الأسود  
لتصفو لنا الأجمة .

فقال: دونك فكله! فأكله .

ثم قال للأحمر: إني أكلك لا محالة!

فقال: دعني أنادي ثلاثاً .

فقال: أفعل .

فنادى : ألا إني أكلتُ يوم أُكِلَ الثورُ الأبيض .

ثم قال عليٌّ (عليه السلام) : ألا إني هُنتُ [ ويروى : وَهَنْتُ ] يوم

قُتِلَ عثمانُ . يرفع بها صوته .

وهذا مثل يضربه الرجل يُرْزَأُ بأخيه .

• وقال الميداني في المثل رقم (٣٠٤٦) : (( كَيْفَ

أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَكْثَرُ فَاسِكَ )) :

(( أصلُ هذا المثل على ما حَكَتُهُ العربُ على لسان الحية  
أن أخوين كانا في إبل لهما فأجْدَبَتْ بلادُهُما، وكان بالقرب  
منهما وادٍ خَصِيبٌ وفيه حية تَحْمِيهِ من كل أحد ، فَقَالَ  
أحدهما للآخر: يا فلان! لو أني أَتَيْتُ هذا الوادي المُكَلِّئِ  
فَرَعَيْتُ فيه إِبِلِي وأَصْلَحْتُهَا .

فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية؛ ألا ترى أن أحداً  
لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته .  
قال: فوالله لأفعلنَّ .

فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً، ثم إن الحية نَهَشَتْهُ  
فَقَتَلَتْهُ، فَقَالَ أخوه: والله! ما في الحياة بعد أخي خير،  
فلاَ طَلَبَنَّ الحية ولاَ قَتَلْنِهَا أو لاَ تَبْعَنَّ أخي .

فهبط ذلك الوادي ، وطلب الحية ليقْتَلَهَا ، فَقَالَت الحية  
له: أَلَسْتَ تَرَى أَنِّي قَتَلْتُ أَخَاكَ؟ فَهَلْ لَكَ في الصلح

فأَدَعَاَ هَذَا الْوَادِي تَكُونَ فِيهِ وَأَعْطَيْكَ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًا مَا

بَقِيَتْ؟

قَالَ : أَوْ فَاعِلَةٌ أَنْتَ؟

قَالَتْ : نَعَمْ .

قَالَ : إِنِّي أَفْعَلُ . فَحَلَفَ لَهَا وَأَعْطَاهَا الْمَوَاقِيقَ لَا يَضُرُّهَا .  
وَجَعَلَتْ تُعْطِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًا ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى صَارَ مِنْ  
أَحْسَنِ النَّاسِ حَالًا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَذَكَّرَ أَخَاهُ فَقَالَ : كَيْفَ يَنْفَعُنِي  
الْعَيْشُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ أَخِي ؟ فَعَمِدَ إِلَى فَأْسٍ فَأَخَذَهَا  
ثُمَّ قَعَدَ لَهَا فَمَرَّتْ بِهِ ، فَتَبِعَهَا ، فَضَرَبَهَا ، فَأَخْطَأَهَا وَدَخَلَتْ  
الْجُحْرَ ، وَوَقَعَتِ الْفَأْسُ بِالْجَبَلِ فَوْقَ جُحْرِهَا فَأَثَرَتْ فِيهِ ،  
فَلَمَّا رَأَتْ مَا فَعَلَ قَطَعَتْ عَنْهُ الدِّينَارَ ، فَخَافَ الرَّجُلُ شَرَّهَا  
وَنَدِمَ ، فَقَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَتَوَاقَعَ وَنَعُودَ إِلَى مَا كُنَّا  
عَلَيْهِ؟ !

فَقَالَتْ : (( كَيْفَ أَعَاودُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ )) ؟ !! .

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَفِي بِالْعَهْدِ ، وَهَذَا مِنْ مَشَاهِيرِ أَمْثَالِ  
العرب . قال نابغة بن ذبيان :

وَإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الْغَيِّ مِنْهُمْ  
وَمَا أَصْبَحْتُ تَشْكُو مِنَ الشَّجْوِ سَاهِرَةً  
كَمَا لَقِيتُ ذَاتَ الصُّفَا مِنْ حَلِفِهَا  
وَكَاثَتْ ثَرِيهِ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَةً  
فَلَمَّا رَأَى أَنْ ثَمَّرَ اللَّهُ مَالَهُ  
وَأَثَّلَ مَوْجُوداً وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ  
أَكْبَّ عَلَى فَاسٍ يُحْدِ غُرَابَهَا  
مُذَكِّرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ  
فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرِ مُشِيدٍ  
لِيَقْتُلَهَا أَوْ يُخْطِئَ الْكَفَّ بَادِرَهُ  
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةَ فَاسِهِ  
وَلِلشَّرِّ عَيْنٌ لَا تُغْمَضُ نَاطِرَهُ  
فَقَالَ: تَعَالَى نَجْعَلِ اللَّهَ بَيْنَنَا  
عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ

فَقَالَتْ: يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ؛ إِنِّي  
رَأَيْتُكَ مَشْؤُمًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي  
وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ

• وقال في المثل رقم (٢٧٤٢) : (( فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى  
الْحَكْمُ )):

(( هذا مما زعمت العرب عن ألسن البهائم ، قالوا: إن  
الأرنب التقطت ثمرةً، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا  
يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسل (٤٢)!  
فقال: سَمِيعًا دَعَوْتَ .

---

(٤٢) أبو الحِسل : كنية الضب ، ويكنى أيضًا : أبا حِسل ، وأبا الحُسَيْل . وفي  
المثل : (( إِنْ تَكُ ضَبًّا فَإِنِّي حِسلُهُ )) ، يُضْرَبُ فِي أَنْ يَلْقَى الرَّجُلُ مِثْلَهُ فِي الْعِلْمِ  
وَالدَّهَاءِ .

قَالَتْ: أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ.

قَالَ: عَادِلًا حَكَمْتُمَا.

قَالَتْ: فَاخْرَجْ إِلَيْنَا.

قَالَ: فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ.

قَالَتْ: إِنِّي وَجَدْتُ ثَمْرَةً.

قَالَ: حُلْوَةٌ فَكُلِيهَا.

قَالَتْ: فَاخْتَلَسَهَا الشَّعْلَبُ.

قَالَ: لِنَقْسِهِ بَغَى الْحَيَّرَ.

قَالَتْ: فَلَطَمْتُهُ.

قَالَ: بِحَقِّكَ أَخَذْتُ.

قَالَتْ: فَلَطَمَنِي.

قَالَ: حُرُّ انْتَصَرَ.

قَالَتْ: فَاقْضِ بَيْنَنَا.

قَالَ: قَدْ قَضَيْتُ !!. فذهبت أقواله كلها أمثالاً)) انتهى .

وقد ذكروا أن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) خطب على منبر الكوفة ، فقال: يا أهل الكوفة! إني وجدت مثلي ومثلكم كالضبع والثعلب أتيا الضب في جحره ، فقالا : أبا حسل ... فذكر نحوه . هكذا أورده ابن عبد ربه . ورواه الأزهري عن عامر الشعبي عنه (رحمته الله) .

- وقال الإمام الكبير أبو بكر بن العربي ( / ) في كتابه النفيس "أحكام القرآن" (ج ٣ ص ١٠٨٤) ط / دار الفكر العربي [ من كلامه على الشاهد الذي ورد ذكره في قول الله (جل ثناؤه) في سورة (يوسف) : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١١) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٢) فَلَمَّا

رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ  
كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ .

قال ابن العربي ( / ) بعدما ذكر أن للناس في تفسير  
الشاهد أربعة أقوال ، منها أنه القميص ، قال : (( فأما إذا  
قلنا إنه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن  
حاله بتقدير مقاله ؛ فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال  
في بعض الأمور ، وقد تضيف العرب الكلام إلى الجملادات  
بما تخبر عنه بما عليها من الصفات . ومن أجلاه قول  
بعضهم : (( قال الحائط للوتد : لِمَ تَشُقُّنِي ؟ قال : سَلْ مَنْ  
يدقني ، ما تركني ورأيي هذا الذي ورأيي )) . ثم قال  
القاضي ابن العربي ( / ) : (( ولكن قوله بعد ذلك : ﴿١٠﴾  
مِنْ أَهْلِهَآ ﴿١١﴾ في صفة الشاهد يُبطل أن يكون القميص ))  
انتهى .

ولقد عقد العلامة أبو الفرج ابن الجوزي ( / ) باباً في آخر كتابه "الأذكياء" [ (ص ٢٤١-٢٤٥) ط / زاهد القدسي ] ، وذكر فيه بعض ما ضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء ، ونقل منه خمس حكايات:

- عن المعافى بن زكرياء ، قال: زعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا ، فخرجوا يتصيدون ، فصادوا حماراً وظيفياً وأرنباً.
- فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا .
- قال: الأمر أبين من ذلك : الحمار لك ، والأرنب لأبي معاوية ، والظبي لي .
- قال : فخطبه الأسد فأندر رأسه ! ثم أقبل على الثعلب ، وقال: قاتله الله ، ما أجهله بالقسمة !

ثم قال : هات أنت .

قال الثعلب : يا أبا الحارث ! (٤٣) الأمر أوضح من ذلك :  
الحمار لغدائك ، والطبي لعشائك ، وتخلل بالأرنب فيما بين  
ذلك !

قال الأسد : ويحك ! ما أقضاك ! من علمك هذه  
القضية ؟

قال : رأس الذئب النادر [ أي : الساقط ] بين عيني .

- قالوا : وكان رجل في صحراء ، فعرض له الأسد ،  
فهرب منه ، فوقع في بئر ، فوقع الأسد خلفه ، فإذا  
في البئر دب ، فقال له الأسد : منذ كم أنت هاهنا ؟

---

(٤٣) أبو الحارث : كنية الأسد . ويكنى أيضًا : أبا حفص .

قال : منذ أيام ، وقد قتلني الجوع .

فقال الأسد: أنا وأنت نأكل هذا وقد شبعنا !

فقال الدب : فإذا عاودنا الجوع فما نصنع ؟ وإنما الرأي  
أن نحلف له أننا لا نؤذيه ؛ ليحتال لخلاصنا وخلصه ؛  
فإنه أقدر على الحيلة منا .

فحلفا له فأخذ في التحيل ، فلاح له ضوء ، فنقب ،  
فخرج به إلى فضاء ، فتخلص وخلصهما .

• وكان أبو أيوب المرزباني وهو وزير المنصور إذا  
دعاه يصفر ويرعد ، فإذا خرج من عنده عاد لونه ،  
فقالوا له : إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير  
المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه !

فقال : مثلي ومثلكم في هذا مثل باز<sup>(٤٤)</sup> وديك تناظرا ،  
فقال البازي للديك : ما أعرف أقل وفاء منك !

قال : وكيف ؟

قال : تُؤخذ بيضة ، فيحضنك أهلك ، وتخرج على  
أيديهم ، فيطعمونك بأكفهم ، حتى إذا كبرت صار لا يدنو  
منك أحدٌ إلا طرت هاهنا وصحت هاهنا . فإن علوت  
حائطاً كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى  
غيرها .

وأنا أؤخذ من الجبال ، وقد كبر سني ، فأطعم الشيء  
اليسير ، وأوثق يوماً أو يومين ، ثم أطلق على الصيد ،  
فأطير وحدي ، فأخذه ، وأجيء به لصاحبي .

---

(٤٤) البازي : جنس من الصقور ، وهو أنواع كثيرة . والجمع : بَواز وبُزاة .  
وكنيته أبو الأشعث ، وهو من أشد الحيوانات تكبراً ، وأضيقها خلقاً .

فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة ، أما أنك لو رأيت  
 بازين في سَفُود<sup>(٤٥)</sup> ما عُدت إليهم أبداً ، وأنا كل وقت  
 رأى السفافيد مملوءة ديوگا وأبيت معهم ؛ فأنا أوفى منك .  
 ولكن لو عرفتكم من المنصور ما أعرف لكتنم أسوأ حالاً  
 مني عند طلبه إياكم .

• قالوا : ورأت الضبع ظبية على حمار ، فقالت :  
 أردفيني ، فأردفتها ، فقالت : ما أفره حمارك !  
 ثم سارت يسيراً ، فقالت : ما أفره حمارنا !! فقالت  
 الظبية : انزلي قبل أن تقولي : ما أفره حماري !

---

(٤٥) السَفُود ، والسُّفُود : الحديدية التي يُشَوَّى بها اللحم . والجمع : سَفَافِيدُ .

• قالوا : وأولم طائر وليمة ، فأرسل يدعو بعض

إخوانه ، فغلط بعض رسله فجاء إلى الثعلب ،

فقال : أخوك يدعوك !

فقال : السمع والطاعة !!

فلما رجع الرسول أخبر الطائر ، فاضطربت الطيور ،

وقالوا : أهلكتنا وعرضتنا للحتف<sup>(٤٦)</sup>.

فقالت القنبراء<sup>(٤٧)</sup> : أنا أصرفه عنكم بحيلة . فمضت

فقالت للثعلب : أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك :

---

(٤٦) الحُتْف : الموت . والجمع : الحُتُوف .

(٤٧) قال الجوهري في "الصحاح" : (( القُبْرَةُ : واحدة القُبَر ، وهو ضرب

من الطير ... والقُنْبَرَاء لغة فيه . والجمع : القَنَابِر . والعامية تقول : القُنْبَرَة ،

وقد جاء ذلك في الرجز )) انتهى باختصار .

الوليمة يوم الاثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك ؟ مع

الكلاب السلوقية<sup>(٤٨)</sup> أو مع الكلاب الكردية ؟!

فتجرعها الثعلب ، وقال: أبلغني أخي السلام ، وقولي له:

أبو سرور يقرئك السلام ، ولكن قد تقدم له نذر منذ دهر

بصوم الاثنين والخميس !!

وقال العلامة ابن الجوزي ( / ) أيضًا في كتابه القيم

"صيد الخاطر" في الخاطرة رقم (١٢٦) [ (ص ١٧٠ -

(١٧١) ] :

(( مَنْ نازعته نفسه إلى لذة محرمة ، فشغله نظره إليها عن

تأمل عواقبها وعقابها ، وسمع هتاف العقل يناديه : ويحك

لا تفعل ؛ فإنك تقف عن الصعود ، وتأخذ في الهبوط ،

---

(٤٨) سلوق : قرية باليمن ، تُنسب إليها الدروع السلوقية والكلاب السلوقية

، والسلوقيُّ من الكلاب والدروع : أجودها .

ويقال لك: ابقَ بما اخترت . فإن شغله هواه فلم يلتفت إلى ما قيل له ؛ لم يزل في نزول ، وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب :  
أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع ! غَيِّر اسمي ؛ فإنه قبيح .

فقال له : أنت خائن ، لا يصلح لك غير هذا الاسم .  
قال: فجربني .  
فأعطاه شقة لحم ، وقال: احفظ لي هذه إلى غد ، وأنا أغير اسمك .  
فجاع ، وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر ، فلما غلبته نفسه ، قال: وأي شيء باسمي ؟! وما كلب إلا اسم حسن !!  
فأكلها !!!

وهكذا الخسيس الهمة ، القنوع بأقل المنازل ، المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل )) ا.هـ .

وقال العلامة ابن قيم الجوزية (قدس الله روحه ونور ضريحه) في كتابه "الفوائد" [ (ص ٤٢) ط / المكتبة القيمة ] :

(( وقع ثعلبان في شبكة ، فقال أحدهما للآخر : أين الملتقى بعد هذا ؟

فقال : بعد يومين في الدباغة ! )) .

- وقال ( / ) في كتابه النفيس "بدائع الفوائد" [ (ج ٣ / ص ٢٣٣) ط / دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ] [ (ج ٣ / ص ٧٢٨) ط / دار الحديث بالقاهرة ] : (( رأت فأرة جملاً فأعجبها ، فجرت خطامه فتبعها . فلما وصلت إلى باب بيتها ، وقف فنادى بلسان الحال : إما أن تتخذي داراً تليق بمحبوبك ، أو محبوباً يليق بدارك .

وهكذا أنت ، إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك ، وإما أن تتخذ معبودًا يليق بصلاتك )) انتهى .

- وجاء في كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن العماد الحنبلي ( / )  
(ج ١ / ص ١٦٥) في ترجمة هشام بن عبد الملك  
( / ) ما نصه: ((ومن نوادره : ما رُوي أنه  
[يعني : هشامًا] تمادى في الصيد ، فوقع على غلام ،  
فأمره ببعض الأمر ، فأبى الغلام ، وأغلظ له في  
القول ، وقال له : لا قرب الله دارك ، ولا حيا

مزارك ... في قصة طويلة ، فيها أنه أمر بقتله ،  
وقرب له نطع الدم (٤٩) ، فأنشأ الغلام يقول (٥٠):

تُبْتُ أن الباز علق مرَّةً      عصفورَ برِّ ساقه المقدورُ  
فتكلم العصفور في أظفاره      والباز منهمك عليه يطيرُ  
ما في ما يغني لبطنك شبعة      ولئن أكلت فإنني لحقيرُ

(٤٩) النطع فيه أربع لغات : نَطَعٌ ، وَنَطَعٌ ، وَنَطَعٌ ، وَنَطَعٌ ، والجمع : نُطُوعٌ  
وَأَنْطَاعٌ . وهو بساط من الجلد كانوا يجلسون عليه مَنْ أرادوا قتله ؛ لئلا  
يصيب الأرض دمه .

(٥٠) أثبتت هذه الأبيات مع بعض اختلاف في الألفاظ الثعالبية في "التمثيل  
والمحاضرة" ، وكذا أبو هلال العسكري في "جوهرة الأمثال" وساق قصةً  
مغايرة لهذه . وذكرها ابن خلكان في "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ،  
وكذا الصفدي في "الوافي بالوفيات" في قصة جرت مع طاهر بن الحسين .  
وأوردها الجاحظ في "المحاسن والأضداد" على أنها من أبيات لرجل أنشدها  
المأمون وكانت سبب نجاته . ولسنا ممن يحتج بإيراد مثل هذا الأخير لها ، ولا  
كرامة ، وإنما التعويل على المزبور أسماؤهم أعلاه .

فتعجب الباز المدلُّ بنفسه عجباً وأفلت ذلك العصفورُ

فضحك هشام ، وقال: يا غلام ! احش فاه ذرّاً  
وجوهرًا)) ١.هـ.

وقد ذكر شهاب الدين الأبهسي الشافعي في  
"المستطرف في كل فن مستظرف" (ص ٣٦٨) أن قائل  
هذه الأبيات هو نصر بن منيع ، أنشدها بين يدي الخليفة  
وكان قد أمر بضرب عنقه ، فلما سمعها منه عفا عنه وخلي  
سبيله ، مع اختلاف في السياق ، وإليك نصه :

زعموا بأن الصقر صادف مرة	عصفور برّ ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه	والصقر منقض عليه يطير
إني لمثلک لا أتمم لُقمةً	ولئن شُويتُ فإنني لحقير
فتهاون الصقرُ المدل بصيده	كرماً وأفلت ذلك العصفور

- وأختم بذكر قصيدة أبي القاسم الشابي الموسومة بـ "فلسفة الثعبان المقدس" ، وقد سمعت غير واحد من أهل العلم في زماننا ينشدها ، ولو كان ثمة محذور شرعي في نظمها ما ذكروها . يقول الشابي [ المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م ] :

كَانَ الرِّبِيعُ الْحَيُّ رَوْحًا حَامًا  
 غَضُّ الشُّبَابِ مُعْطَرُ الْجَلْبَابِ  
 يَمْشِي عَلَى الدُّنْيَا بِفِكْرَةِ شَاعِرٍ  
 وَيَطُوفُهَا فِي مَوَكِبٍ خَلَابٍ  
 وَالْأُفُقُ يَمْلَأُهُ الْحَنَانُ كَأَنَّهُ  
 قَلْبُ الْوُجُودِ الْمُنْتَجِ الْوَهَابِ  
 وَالْكُونُ مِنْ طَهْرِ الْحَيَاةِ كَأَنَّمَا  
 هُوَ مَعْبَدٌ وَالْغَابُ كَالْمَحْرَابِ

والشاعرُ الشَّخَرُورُ يَرْقُصُ مُنْشِدًا  
 للشمسِ فوقَ الوردِ والأعشابِ  
 شِعْرَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ وَنَفْسُهُ  
 سَكْرَى بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخِلَابِ  
 وَرَأَى ثَعْبَانُ الْجِبَالِ فِغْمَهُ  
 مَا فِيهِ مِنْ مَرَحٍ وَفَيْضِ شَبَابِ  
 وَانْقَضَ مَضْطَظِنًا عَلَيْهِ كَأَنَّهُ  
 سَوَّطُ الْقَضَاءِ وَلَعْنَةُ الْأَرْيَابِ  
 بُغَتْ الشَّقِيُّ فَصَاحَ مِنْ هَوْلِ الْقَضَا  
 مَتَلَفُتًا لِلصَّائِلِ الْمُنْتَابِ  
 وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ يَصْرُخُ ثَائِرًا  
 مَاذَا جَنَيْتُ أَنَا فَحَقُّ عِقَابِي  
 لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي مَتَغَزَلٌ  
 بِالْكَائِنَاتِ مَغْرَدٌ فِي غَابِي  
 أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَنَانًا طَاهِرًا  
 وَأَبْثُهَا نَجْوَى الْمَحَبِّ الصَّابِي

أَيْعَدُ هَذَا فِي الْوُجُودِ جَرِيمَةً  
 أَيْنَ الْعَدَالَةُ يَا رِفَاقَ شَبَابِي  
 لَا أَيْنَ فَالْشَّرُّ الْمَقْدَسُ هَاهُنَا  
 رَأْيُ الْقَوِيِّ وَفِكْرَةُ الْغَلَّابِ  
 وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جُرْمٌ مَا لَهُ  
 عِنْدَ الْقَوِيِّ سِوَى أَشَدِّ عِقَابٍ  
 وَلْتَشْهَدْ الدُّنْيَا الَّتِي غَنِيَّتُهَا  
 حُلْمُ الشَّبَابِ وَرَوْعَةُ الْإِعْجَابِ  
 أَنَّ السَّلَامَ حَقِيقَةٌ مَكْنُوءِيَّةٌ  
 وَالْعَدْلُ فَلَسَفَةُ اللَّهْيَبِ الْخَابِي  
 لَا عَدْلَ إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقَوَى  
 وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ  
 فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِي  
 وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ وَفَرَطٍ كَذَابِ  
 يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْمَثْرُثُ إِنِّي  
 أَرْتِي لثَوْرَةَ جَهْلِكَ الْثَلَّابِ

والغُرُّ بعذره الحكيمُ إذا طغى  
 جهلُ الصَّبا في قلبه الوثاب  
 فاكبح عواطفك الجوامح إنها  
 شَرَدَتْ بلبُّك واستمع لخطابي  
 إنِّي إلهٌ طالما عبَدَ الورى  
 ظلِّي وخافوا لعنتي وعقابي  
 وتقدُّموا لي بالضحايا منهم  
 فرحين شأن العابد الأواب  
 وسعادة النفس التقيَّة أنها  
 يوماً تكون ضحية الأرياب  
 فتصيرُ في رُوح الألوهة بضعة  
 قُدسية خلصت من الأوشاب  
 أفلا يسرُّك أن تكون ضحيَّتي  
 فتحلَّ في لحمي وفي أعصابي  
 وتكون عزمًا في دمي وتوهجًا  
 في ناظريَّ وحدةً في نابي

وتذوبُ في رُوحِي التي لا تنتهي  
وتصيرُ بَعْضُ ألوهتي وشبابي؟  
إني أردتُ لك الخلودَ مؤلَّهاً  
في رُوحِي الباقي على الأحقابِ  
فكّرْ لتدركَ ما أريدُ وإنَّه  
أسمى من العيشِ القصيرِ النَّابي  
فأجابه الشحرورُ في غُصَّ الرَّدَى  
والموتُ يخنقه: إليك جوابي  
لا رأيَ للحقِّ الضعيفِ ولا صدَى  
الرَّأيِ رأيُ القاهرِ الغلابِ  
فافعلْ مشيئتَكَ التي قد شئتُها  
وارحمْ جلالَكَ من سماعِ خطابي  
وكذاك تَتَّخِذُ المَظالِمُ منطقاً  
عَذْباً لتخفي سَوءَةَ الأَرابِ



ذلك ، والله (سبحانه وتعالى) أسأل أن يجعلني عملي كله  
صالحًا ، ولوجهه خالصًا ، ولعباده نافعا ؛ إن ربي لسميع  
الدعاء ،،،

وخطه بيمينه

وائل بن حافظ بن خلف

غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه



مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤَلِّفِ

**مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ  
فِي الْمُحَاكَمَةِ بَيْنَ  
الرَّافِعِيِّ وَطَهَ حُسَيْنِ**

بقلم

**وَأَثَلِ بْنِ حَافِظِ بْنِ خَلْفٍ**

عفا الله عنه

مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤَلِّفِ

هَدَمُ الدَّسَاكِرِ  
عَلَى مَنْ بَغَى عَلَى  
الرَّافِعِيِّ وَشَاكِرِ

بقلم

وَأَثَلِ بْنِ حَافِظِ بْنِ خَلْفٍ

مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤَلِّفِ

## الْأَدَبُ الصَّغِيرُ

لِلْأَدِيبِ الْكَبِيرِ الْعَلَامَةِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَمَّعِ

قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

وَائِلُ بْنُ حَافِظِ بْنِ خَلْفٍ  
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ